الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات
القسم : لغة وأدب عربي
الشعبة : أدب عربي

المرجع:.....

التخصص :أدب قديم

آراء الجاحظ النقدية من خلال البيان والتبيين ، الخطابة أنموذجا دراسة تداولية

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
سناء بوحبيلة

إشراف الأستاذ(ة):
عزوز سطوف

السنة الجامعية : 2013/2012

الشكر والعرفان

قالوا : من علمني حرفا صرت له عبدا .

فما عساني أن أقول لمن علمني منهجية كاملة في البحث ومنحني من وقته النفيس رغم ارتباطاته الكبيرة ومسؤولياته الجسيمة "**عزوز سطوف**" .

فلهذا العلم والأستاذ كامل شكري وعرفاني .

كما أجزل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة على ما تجشموا من عناء قراءة بحثي ومنحهم إياي من وقتهم الغالي .

سناء بوحبيلة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الناطقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه إلى يوم الدين .

إن الفترة الزمنية التي عاشها الجاحظ من عصر الخلافة العباسية لهي جديرة بالدراسة ذلك أن الجاحظ استطاع في هذه الفترة أن يطل علينا بآراء تعكس نظرته الثاقبة للآداب والفنون .

وقد انتخب بحثنا هذا عنوانا ، فوسم ب "آراء الجاحظ النقدية من خلال البيان والتبيين ، الخطابة أنموذجا ، دراسة تداولية " وهي دراسة تتناول أهم آراء الجاحظ النقدية في الخطابة من خلال كتابه المذكور آنفا .

وما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع وهذا الفن بالذات أننا أردنا أن نستعرض آراء الجاحظ النقدية فوجدناها تتوزع في أكثر من مؤلف ، فكان لزاما علينا أن نحصرها في مصدر واحد ، ثم وجدناها تتوزع على عدة توجهات نقدية فاخترنا الخطابة لكي لا يتشعب بنا البحث ، ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أبرزها :

- ماهي آراء الجاحظ النقدية المتعلقة بالخطابة التي تضمنها كتابه "البيان والتبيين"؟
- وانطلاقا من هذه الإشكالية العامة تتفرع عدة إشكاليات جزئية منها :
- كيف نظر الجاحظ إلى طرفي العملية التخاطبية المخاطب والمخاطب ؟
- ما هي أهم طرائق الإشارة ولغاتها المصاحبة للخطاب والتي كان العرب يلتزمون بها أثناء إلقاء الخطب ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جعلنا مدار بحثنا على ثلاثة فصول :

خصصنا الفصل الأول النظري الموسوم ب "العناصر البيوغرافية" لعرض أهم المحطات التي مر بها الجاحظ في حياته وذلك في المبحث الأول من هذا الفصل ، حيث إفتتحناه بأهم العناصر السيرية لحياة الجاحظ بداية من اسمه ونسبه ثم مولده ونشأته فشخصيته وتحصيله الثقافي ، ثم عرجنا على عصره وأهم ما تميز به ، ووقفنا على طريقة الجاحظ في الكتابة وخصائص أسلوبه التي ميزته عن باقي الكتاب الآخرين ، وأهم آثاره التي تركها لنا .

وعرضنا في المبحث الثاني أهم المميزات التي ميزت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الجاحظ ، وذاك كله وفق منهج تاريخي لأنه الأنسب لهذه الدراسة .

وقد باشرنا دراستنا التطبيقية في الفصل الثاني المعنون ب "آراء الجاحظ النقدية في طرفي الخطابة (الخطاب)" والذي وقع في مبحثين :

فخصصنا المبحث الأول لدراسة آراء الجاحظ النقدية في المخاطب من خلال ذكر أهم عيوب الخطيب التي يجب عليه أن يتجنبها لأنها تؤثر سلبا في عملية إقناع المخاطبين .

وبالمقابل من ذلك تطرقنا إلى أهم محاسن هذا المخاطب وأهم الصفات التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون خطيبا ناجحا ، كما تناولنا أهم من اشتهر بالخطابة من الشعراء .

ذكرنا في المبحث الثاني المتعلق بالمخاطب ما يجب من مراعاة حال هذا المخاطب وما يجب عليه أن يتسم به . وكل ذلك وفق مقاربة حجاجية باعتبارها الأنسب للإقناع والتأثير .

كما سعينا في الفصل الثالث الذي يقع تحت عنوان : "آراء الجاحظ النقدية في الخطابة (الخطاب) " إلى تعريف الخطابة لغة واصطلاحا عند مجموعة من الباحثين بالإضافة إلى مفهوم البيان (الخطابة) عند الجاحظ وأهم السنن المتبعة في إنشائها ، كما تناولنا أهم القبائل التي اشتهرت بهذا الفن واهم خطبائها وأسباب تفوق العرب على غيرهم من الأمم السائرة في هذا الفن (الخطابة) ، ثم المحاور أو المقامات التي وردت فيها الخطب

بالإضافة إلى طرائق الإشارة ولغاتها المصاحبة للخطاب والتي كان العرب يلتزمون بها أثناء إلقائهم الخطب ورأي الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب ورد الجاحظ عليهم.

واخترنا المنهج التداولي وبالأخص المقاربة الحجاجية لأنها أهم مبحث من مباحث التداولية ولأنها أنسب مقاربة للخطابة باعتبارها تقوم على الإفهام والإقناع .

وبحثنا هذا ليس بدعا في موضوعه بل سبقته دراسات كثيرة تقترب أو تبتعد عن فحواه ، ولعل أهم من عني بدراسة آراء الجاحظ نذكر : "عبد الحكيم راضي" في مؤلفه "الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ" ، كما نجد كذلك "فوزي السيد عبد ربه " في كتابه "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين" ونجد كذلك "وليد إبراهيم القصاب" في كتابه "أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي في البلاغة العربية" ، بالإضافة إلى كثير من المراجع والدراسات الأخرى التي اقتربت من مضمون هذه الدراسة .

وقد واجهتنا صعوبات كثيرة أثناء قيامنا بهذه الدراسة منها : أسلوب الإستطراد الذي ميز مؤلفات الجاحظ ماجعل عملية استقصاء آراء الجاحظ صعبة للغاية ، بالإضافة إلى التداخل الموجود في آراء الجاحظ بين أطراف الخطاب حتى ليعسر علينا أن نفصل بين آرائه المتعلقة بالخطاب من جهة وآرائه المتعلقة بطرفي الخطاب من جهة آخرى . وهناك عائق آخر هو صعوبة التعامل مع المنهج التداولي .

وما بقي لنا إلا أن نقول أننا قد حاولنا الاجتهاد في دراستنا هذه المتواضعة حتى نخرجها في صورة رصينة جميلة، إلا أننا لا نعتقد فيها الكمال ، فلكل شيء إذا ما تم نقصان .

سناء بوحبيلة

المركز الجامعي بميلة – الجزائر .

الفصل الأول

العناصر البيو غرافية

المبحث الأول : الجاحظ في حياته:

1 – اسمه ونسبه :

هو "عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ"[1]. وقد "لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، وهو لقب لم يكن يستحسنه، وإنما كان يحب أن يدعى باسم عمرو"[2]

وقد "كان له جد أسود يقال له فزارة عمل جمالا لعمرو بن قلع الكناني"[3]

2 – مولده ونشأته :

تضاربت الآراء حول تاريخ ولادة الجاحظ ووفاته، إلا أن معظمهم اتفق على أنه ولد "في البصرة حولي سنة 776 م (160هـ)، ومات فيها سنة 869 م (255هـ)"[4].

أما عن نشأته فقد كانت صعبة، حيث أنه "أمضى طفولة شقية، فقد توفي والده وهو بعد صغير، وخلفه بلا ثروة يعيش منها ، إلا أن جو المدينة الثقافي جعل من ذهابه إلى الكتاب ضرورة، وفيه أظهر الصبي ذكاء خارقا ، ونهما حادا إلى المعرفة، فلما اشتد ساعده أخذ يعمل إلى جانب طلب العلم يبيع الخبز والسمك في الأسواق، ثم يغشى المساجد، يلقى علماءها يسمع منهم أو يجادلهم، ويتردد على سوق المربد قرب البصرة، وإليه يختلف الشعراء والخطباء"[5].

1 كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ط1، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1424هـ/2002م، ج4، ص366 .

2 سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1432هـ/2011م، ص83.

3 الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، القول في البغال، تحقيق شارل بلا، ط1، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1995م، ص5.

4 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، ط1، دار صادر، بيروت،ص7.

5 الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ط8، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص172.

وقد شغله كل ذلك عن طلب العيش حتى إن أمه ضاقت به درعا. "وذات يوم جاءها يطلب طعاما فقدمت له طبقا فيه كراريس وورق وقالت : كل ، سخرية من اشتغاله بالدراسة، واهتمامه بالقراءة، وانصرافه عن الكسب. فخرج إلى المسجد ممرورا، ورآه يونس بن عمران فأدرك حاله وسأله عن شأنه، ولما وقف على أمره أعطاه خمسين دينارا، فأخذها الجاحظ ومضى إلى السوق، فاشترى دقيقا وطعاما، وعاد إلى داره مزهوا، والحمالون من ورائه، فلما رأته أمه دهشت وسألته من أين لك هذا؟ فرد عليها متشفيا : من الورق الذي قدمته لي في الطبق"[1].

وقد كانت البصرة في هذه الفترة مركزا للعلوم والآداب حيث "تعد... من أزهى عصور الأدب العربي ، إذ شهدت ظهور أقوى الخلفاء العباسيين من أمثال الرشيد والمأمون والمعتصم، ولم يعكر صفوها سوى الصراع الذي وقع بين الأمين والمأمون، وهو في الأصل صراع بين العرب والعجم أطلت فيه الشعوب البغيضة"[2].

ولم يكن الجاحظ بعيدا عن هذا الإزدهار فقد "عايش الجاحظ العصر الذهبي للأمة العربية، حيث كانت معاهد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبة وسائر عواصم الإسلام تزخر بالآداب والعلوم والفنون، خاصة وأن حركة الترجمة في تلك الفترة قد عرفت نشاطا ملحوظا مكنت علماء العصر من الاطلاع على الكثير من المؤلفات الأجنبية لاسيما منها الفارسية"[3].

وهذا الإزدهار الثقافي والأدبي الذي ميز هذا العصر مكن الجاحظ من معاصرة أهم رجال الفقه والأدب، "فعاصر من رجال الفقه والحديث مالكا والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري، ومن الكتاب ابن المقفع، وإبراهيم الصولي، وابن قتيبة، والمبرد، وابن الزيات، ومن علماء اللغة الخليل بن أحمد، ومن الشعراء بشار بن برد، وأبا نواس، ومسلم

1 المرجع السابق ، ص ن.
2 سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، ص84.
3 الجاحظ، البخلاء (آثار أدبية)، إشراف محمد بلقايد، دط، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001،ص ص7،8.

بن الوليد، وأبا العتاهية، وأبا تمام والبحتري، وابن الرومي، ودرس على الأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأخفش"[1].

كما أنه كان من أتباع المعتزلة وفي هذا يقول كارل بروكلمان : "وكان الجاحظ معتزليا تتلمذ على إبراهيم النظام، واشتهر كلامه بين المعتزلة فانتسب بعضهم إليه، وهم الجاحظية، وطار صيت تصانيفه في الدنيا"[2]. كما أنه "أخذ عنه علم الكلام"[3].

"لكن البصرة ما لبثت أن ضاقت بالجاحظ، أو لعل الجاحظ أحس أنه كبر منها "[4]. فقرر الإنتقال إلى بغداد وقد " قدم الجاحظ إلى بغداد في شبيبته ونادم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق، فلما قتل المتوكل ابن الزيات طلبه الجند، وأوشك أن يقتل هو أيضا، ولكنه أفلت من ذلك بعسر ومشقة"[5].

وعندما استطارت شهرة الجاحظ في بغداد سمع به المتوكل ودعاه "لتأديب بعض ولده، فلما رآه المتوكل استبشع منظره، فصرفه وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وكان الجاحظ مع علمه وكثرة تصانيفه عاجزا عن تدبير الأمور، فلما ولاه الخليفة رياسة ديوان الرسائل ، بعد إبراهيم بن العباس الصولي، اعتزل بعد ثلاثة أيام ورجع إلى البصرة للقراءة والتصنيف"[6].

وقد "عمر الجاحظ طويلا، وفي أواخر حياته أصيب بالفالج والنقرس، فانتقل إلى البصرة، ولم يقعده المرض عن العمل، فظل يقرأ ويكتب حتى موته في سنة

1 الطاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب، ص ص172،173.
2 كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ط3، دار المعارف بمصر، د ت، ج3، ص107.
3 عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1424هـ/2003م، ص120.
4 الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص174.
5 كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص106.
6 المرجع نفسه، ص ص106،107.

255هـ/868م، قيل إن كتبه سقطت عليه فقتلته، فكان ضحية أعز أصدقائه"[1].

3 – شخصيته :

تراوحت شخصية الجاحظ بين القبح والظرافة والخفة فقد "كان ...قبيح الوجه، بارز العينين، قصير القامة"[2]. وكان مقابل ذلك "خفيف الروح، حسن العشرة، ظريف النكات، يتهافت الناس إلى الاستمتاع بنوادره"[3].

وقد لخص لنا صاحب كتاب الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم : حنا الفاخوري شخصية الجاحظ في مجموعة من النقاط هي كالآتي :

" كان رجل العلم والعمل .

كانت ثقافته موسوعية تتناول كل فن وكل مطلب.

كان رجل انفتاح.

كان رجل الطموح الذي أراد أن ينافس أكابر الكتاب والمفكرين"[4].

"وهو رجل جد وهزل وسخرية ينظر إلى الحياة نظرة واقع، فيعالجها بالجد طورا، وبالهزل أخرى.

وهو رجل اعتماد على النفس يصدف عن كل عمل فيه ملق وتزلق ومذلة، ويميل إلى كل عمل فيه تحر واعتماد على العقل"[5].

كانت هذه باختصار أهم مميزات شخصية الجاحظ.

1 أبو عثمان الجاحظ، القول في البغال، ص ص6،7.
2 المصدر نفسه، ص7.
3 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، ص7.
4 حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، د.ط، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص255.
5 المرجع نفسه، ص256.

4 – تحصيله الثقافي :

من خلال ما ذكرناه سابقا عن شخصية الجاحظ يتبين لنا أن الجاحظ لم يكن "رجلا عاديا من عامة الناس الذين يطمحون إلى تثقيف أنفسهم عن طريق الإستماع والمناقشة وحسب، أو عالما يسعى إلى تحصيل جانب واحد من العلم. كأن يكون مطلبه علم الكلام، أو اللغة، أو البلاغة، بل كان يتميز بمقدرة عقلية تستوعب كل شيء"[1]. حيث أنه "ألم بثقافات الفرس واليونان، وحضارات الأمم الدخيلة وأخبار العرب في علوم اللغة العربية وآدابها، حتى قال عنه أبوهفان : "لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ"[2]. فقد كان لا يفوت فرصة للقراءة والإطلاع حيث "كان يختلف إلى بعض الكتاتيب مع لذاتة من الصبية، وكانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئا من النحو والفقه والحساب. ويحفظون بعض القرآن وبعض الأشعار... وكان يختلف إلى المربد يأخذ عن فصحاء العرب اللغة بعض ما ينشدونه من الأشعار"[3]. وبهذا تعددت مصادر علمه "فقد تتلمذ على أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ عنهم اللغة والأدب. وتتلمذ على الأخفش وأخذ عنه النحو، كما تتلمذ على النظام وأخذ عنه علم الكلام"[4].

وقد " كان الجاحظ نهما إلى القراءة، لم يقع في يده كتاب إلا أتى عليه، ويكتري حوانيت الوراقين ويبيت فيها للدرس والمطالعة، وله قدرة فائقة على الحفظ والرواية ، فأكسبه ذلك معرفة واسعة ، وثقافة منوعة"[5].

بالإضافة إلى المصادر السابقة التي نهل منها الجاحظ ثقافته هناك مصدر آخر لا يقل أهمية عن المصادر الأخرى ، "بل ربما ميزه عن غيره من الكتاب الذين سبقوه أو لحقوا به، ونعني بذلك معايشة الناس ومراقبتهم مراقبة الفنان الذي يحاول أن يكشف عن

1 عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص119.
2الجاحظ، البخلاء، (آثار أدبية)، ص8.
3 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)، ط2، دار المعارف، مصر، 2001م، ص587.
4 عز الدين أسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ،ص120.
5 الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص172.

عالمهم الداخلي بقدر ما يرصد مظهرهم الخارجي، ولهذا فإن أهم ما يميز كتابات الجاحظ مقدرته على عرض صور ونماذج من واقع الحياة الاجتماعية. ومن صنوف البشر على اختلاف طبائعهم وهو في هذا يتميز عن الكتاب الذين شاركوه غزارة الثقافة مثل المبرد وابن قتيبة"[1].

وإلى جانب هذا المصدر هناك أيضا مصدر آخر لثقافة الجاحظ حيث أنه "كان صاحب رحلة، أمضى حياته متنقلا بين البصرة وبغداد، ورحل إلى دمشق، وزار أنطاكية، وثمة احتمال بأنه جاء مصر. فأكسبه التنقل، وتنوع البيئة وتباين العيش، عمقا في التجربة، وشمولا في النظرة، وخبرة واسعة بأحوال الحياة والناس"[2].

فقد كان الجاحظ حقا "فتى الرغبة العلمية الملحة، يستقي المعرفة من شتى ينابيعها"[3].

5 – عصر الجاحظ :

من خلال مصادر ثقافة الجاحظ ومقدار تحصيله الثقافي يتضح لنا معالم العصر الذي عاش فيه واستقى منه ثقافة موسوعية شاملة إذ أنه عاش "في العصر الذهبي للأمة العربية: عصر هارون والمأمون، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبة، وسائر عواصم الإسلام، وكان المعين فياضا مترعا، والعقول في نشاط وفورة، والتأليف والترجمة لها دوي النحل في كل صقع، الدين يدعو إلى العلم والنور، والمال تلمع وجوهه في عيون أهل الفضل، فيذكي العزائم، ويبرم العقد،

1 عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص119.
2 الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص173.
3 حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ص553.

والعلم ولود، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به في سبيل الظمأ، وحيثما شبع منه رجع به في سبيل الجوع"[1].

6 – طريقة الجاحظ في الكتابة وخصائص أسلوبه :

بما أن الجاحظ عاش في "العصر الذهبي للأمة العربية"[2]. حيث كانت العلوم والفنون في أوج ازدهارها فمن البديهي أن يتميز أسلوبه في الكتابة بالتنوع والتشعب نظرا لتنوع ثقافته واتساع معارفه.

يرى عزت السيد أحمد أن : "الكلام على أسلوب الجاحظ بعيد الغور واسع المدى، فهو لا يقتصر على طرائق تناوله موضوعاته، ولا يتوقف عند تراكيبه وعباراته، ولا ينحصر في تنويعه واستطراده، ولا يكفي فيه انتقاؤه ألفاظه، ولا حتى طرائق تعامله مع الناس في حياته، إنه كل ذلك وأكثر، وخاصة أن للأسلوب في كل ذلك ما ينبئ عن الشخصية وتركيبتها النفسية"[3].

فقد كان الجاحظ في كتاباته "يعنى دائما بأسلوبه وسريان الازدواج فيه وبألفاظه وصياغاته وملاءمتها لمعانيها وموضوعاتها وقرائها، كما يعنى بسريان روح الدعابة والإستطراد من شعر إلى خبر إلى فكرة كلامية إلى نادرة إلى بيان سمة لشخص من معاصريه إلى قرآن أو حديث إلى فكرة عن علم من علوم عصره كالفلك إلى عقيدة للمجوس إلى ما لا يحصى من المعارف وأحوال مجتمعه"[4].

1 الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1384هـ/1965م، ج1، ص ص 3،4.
2 المصدر نفسه، ص3.
3 عزت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص22.
4 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص ص 595،596.

كما أن أدب الجاحظ في غالبيته "يميل إلى الأسلوب الفكاهي رغم جدية المواضيع التي كان يتطرق إليها، وقد اتخذ ذلك وسيلة ليقرب الناس منه وليغرمهم بمؤلفاته"[1].

كما أن للجاحظ طريقة معينة في الكتابة حيث "تتميز طريقته الكتابية بالجمل القصار، والفقرات المتقابلة، وتعدد النعوت للشيء الواحد، وإجادة استخدام حروف الجر متتابعة متغايرة في دقة وحسن استعمال، واستقصاء كل أجزاء المعنى، وتأديته بعدة جمل تبدو في الظاهر ترادفا وتكرارا، ولكنها في الواقع تجسيم للمعنى، وتفنن في إبرازه واستيفاء لكل ظلاله"[2].

وبذلك انفرد الجاحظ عن أدباء عصره "إذ جعل أدبه أدبا واقعيا يصور مجتمعه وكل ما فيه من أخلاق وعادات تتصل بالرجال والنساء والقيان وكيدهن. ودائما تلقاك طوابعه العقلية من القدرة على الجدل واستنباط البراهين والأدلة ودقائق المعاني والأفكار خائضا بك في أعمق المباحث الكلامية من تنزيه الله عن الشبه بالمخلوقات أو الكلام عن صفاته أو في المعرفة أو في الاستطاعة مع ذكر أطراف مما يجري فيه الناس ويخوضون فيه، ومع التنقل في كل الموضوعات من الإنسان أو الحيوان أو النبات"[3].

حتى "لا يستطيع المرء أن يميزه و يعرف أي الكتب له، وأيها ليست له"[4].

7 – آثاره :

لا شك أن الجاحظ قد خلف ثروة هائلة من الكتب والمجلدات، حيث ترك مؤلفات كثيرة، "ويكفي أن نقرأ مقدمة "الحيوان" لنتعرف على ما يربو على مئة كتاب ورسالة

1 الجاحظ، البخلاء، (آثار أدبية)، ص8.
2 عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، د ط،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت، ص431.
3 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص596.
4 عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس ، ص432.

تعالج قضايا الأدب والدين والفلسفة والإجتماع والعلوم، وأشهرها "الحيوان"، و"البيان والتبيين"، و"البخلاء""[1].

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى وتصانيف كثيرة من بينها :

"سحر البيان"، و"التاج" و يسمى أخلاق الملوك، و"المحاسن والأضداد"، و"التبصير بالتجارة"، و"تنبيه الملوك"، و"الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير"، و"فضائل الأتراك"، و"العرافة والفراسة"، و"الربيع والخريف"، و"الحنين إلى الأوطان"، و"النبي والمتنبي"، و"مسائل القرآن"، و"العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصائع وإبطال مقالة أهل الطبائع"، و"فضيلة المعتزلة"، و"صياغة الكلام"، و"الأصنام"، و"كتاب المعلمين"، بالإضافة إلى "الجواري"، وكذلك "النساء"، و"البلدان"، و"جمهرة الملوك"، وأيضا "الفرق في اللغة"، و"البرسصان والعرجان والعميان والحولان"، و"القول في البغال"، و"الاستبداد والمشاورة في الحرب".[2]

وغيرها كثيرة لا نستطيع ذكرها، وإنما اكتفينا بهذه النماذج على سبيل التمثيل فقط وليس على سبيل الحصر.

المبحث الثاني : الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الجاحظ :

شهدت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الجاحظ خلال العصر العباسي تموجات مختلفة أدت إلى التأثير والتنوع في ثقافة الجاحظ وأخلاقه ومذاهبه وسوف نقوم برصد جانب من هذه الحياة التي عاشها الجاحظ في ميادينها المختلفة.

1 أبو عثمان الجاحظ ، القول في البغال، ص7.
2 ينظر ، كامل سلمان الجبوري ، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 م ، ج 4 ، ص 367 .

1- الحياة السياسية :

كان الجاحظ من مواليد العصر العباسي حيث أنه عاش حياته في "العصر العباسي الأول وشطرا من العصر العباسي الثاني، فقد عاصر من خلفاء بني العباس : الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل"[1].

ويرى المؤرخون أن العهد العباسي مر بعدة عصور وهي كالتالي :

1-أ- العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ) :

ويعد هذا العصر من أزهى العصور وخصوصا في فتراته الأخيرة إذ أطلق عليه المؤرخون اسم "العصر الذهبي، ففيه توطدت أركان الدولة، وتم التخلص من المارقين عن الدولة، وتعاقب عليه تسعة خلفاء : السفاح (- 136هـ)، والمنصور (- 158هـ)، والمهدي (-169 هـ)، والهادي(-170 هـ)، والرشيد (-193 هـ)، والأمين (-198 هـ)، والمأمون (-218 هـ)، والمعتصم (-227 هـ)، والواثق (-232 هـ)"[2].

وقد عرف هذا العصر رقيا واسعا في شتى مجالات الحياة حتى أنه قد أطلق عليه "عصر الإسلام الذهبي ؛ حيث ثبتت قواعد الدولة العباسية على عهد الرشيد وابنيه المأمون والمعتصم، وأصبح لها شأن عظيم وسلطان مهيب، وسياسة واضحة، يغلب عليها طابع النظام والتدبير في كل الأمور"[3].

وقد تولى الرشيد خلافة الدولة العباسية وأبلغها ذروة ازدهارها حيث "ولي الرشيد سنة 170هـ وامتدت خلافته إلى سنة 193هـ، ويعد عصره العصر الذهبي للخلافة

1 فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، د.ط، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2005م، ص13.
2 سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، ص15.
3 فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص13.

العباسية بما بلغته من أبهة الملك وفخامته، ولاتزال ذاكره حية في نفوس العرب إلى اليوم"[1].

وما إن توفي الرشيد حتى نشب نزاع بين ابنيه الأمين والمأمون، وفي هذه الأثناء كان الجاحظ قد ترك البصرة ورحل إلى بغداد وهناك استدعاه المأمون "على إثر كتاب وضعه عن "الإمامة" وصدره ديوان الرسائل. وما انقضت ثلاثة أيام حتى استعفى من منصبه فأعفي"[2].

وبعد وفاة المأمون لازم الجاحظ "الوزير محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق، فلما قتل المتوكل إبن الزيات طلبه الجند، وأوشك أن يقتل هو أيضا، ولكنه أفلت من ذلك بعسر ومشقة"[3].

وعندما استطارت شهرة الجاحظ في بغداد ذكر للمتوكل فدعاه "لتأديب بعض ولده. فلما رآه الخليفة استبشع منظره، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه"[4].

فالجاحظ كان ميالا للعيش الرخي وهذا ما دفعه إلى التنقل باستمرار من بلد لآخر.

1-ب- العصر العباسي الثاني (232هـ - 656هـ) :

وقد مر هذا العصر بثلاث مراحل هي كالآتي :

* مرحلة نفوذ الأتراك على الخلافة العباسية (232هـ - 334هـ) :

رأينا سابقا أي في العصر العباسي الأول كيف قام العباسيون بتوطيد أركان الدولة وكيف تم التخلص من المارقين على الدولة حيث تولى في هذه المرحلة "العنصر التركي زمام الدولة كلها، وانتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء. إذ ضجر الناس من الجند

1 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، ط6، دار المعارف بمصر، د.ت، ص36.
2 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، ص9.
3 كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، ص106.
4 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، ص11.

الأتراك. وظلت حاضرة الخلافة إلى أواخر عهد الخليفة المعتمد سنة 276هـ، وازداد النفوذ التركي، وأصبحت الخلافة لا تولى إلا لمن وافق هوى الأتراك وخضع لهم، وبدأ الضعف يدب في كل أركان الدولة العباسية"[1].

* مرحلة النفوذ البويهي الفارسي (334هـ - 447هـ) :

حيث إننا ما إن "نصل إلى أواخر العصر حتى يتغلب كثير من الحكام على ولاياتهم، فتصبح فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه"[2].

* مرحلة نفوذ الأتراك السلاجقة (447هـ - 656هـ) :

ونجد في هذه المرحلة سيطرة "السلاجقة على مقدرات الخلافة حتى اقتحم المغول بغداد سنة 656هـ/1258م ... وبذلك سقطت خلافة بني العباس، ليأتي عهد جديد هو عصر المماليك"[3].

كانت هذه باختصار لمحة طفيفة للحياة السياسية وما ميزها في عصر الجاحظ.

2- الحياة الاجتماعية :

بما أن العصر العباسي كان من أزهى العصور وأكثرها تطورا في شتى ميادين الحياة، فمن البديهي أن تتميز فيه الحياة الإجتماعية بالتطور والترف والرخاء حيث "شهدت الحياة الإجتماعية في العصر العباسي تطورا كبيرا إذ ضمت الدولة العباسية مزيجا من الشعوب الإسلامية ، منها العربي والفارسي والتركي والرومي وغيرها، وأدى هذا التمازج إلى ظهور الحضارة الإسلامية"[4].

1 سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، ص15.
2 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص26.
3 سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، ص16 ومابعدها.
4 المرجع نفسه ، ص19.

كما أن هناك عوامل أخرى أدت إلى هذا الترف منها الإستقرار السياسي الذي أدى إلى "الازدهار الإقتصادي الذي ولد بدوره حب البذخ والجشع، فشاع اللهو على أنواعه، من معاقرة الخمور إلى الرقص والغناء، إلى اللعب واللهو، إلى التنعم بالفنون والجمال، إلى مخالطة الجواري الحسان"[1].

كما أن هذا الترف والرخاء في مناحي الحياة أدى إلى انتشار ظاهرة الرقيق حيث "كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب كثرة من كانوا يؤسرون في الحروب وبسبب انتشار تجارته"[2]. وقد دفع هذا الفساد الخلقي الذي شاع في العصر العباسي نتيجة الترف والرخاء خاصة عند الطبقة البرجوازية أو طبقة الخلفاء وأتباعهم وأهل الثراء إلى "انتشار الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة الرجل والمرأة جميعا"[3].

بالإضافة إلى هذه السلبيات التي نتجت عن حياة الترف والبذخ هناك إيجابيات أيضا مست الحياة الإجتماعية في هذا العصر حيث "قامت حضارة إسلامية ذات طابع خاص هي مزيج من حضارات هذه الأمم، تحملها لغة القرآن، ودونت الكتب والمصنفات بهذه اللغة"[4].

ومهما يكن من أمر هذه البيئة الإجتماعية التي عاشها الجاحظ في العصر العباسي "ولا سيما عصر المأمون، العهد الذهبي الأكيد للحضارة العربية، لقد صهرت حقا هذه الحضارة في بوتقتها خلاصة الحضارات العريقة ووسمتها بطابع مميز"[5].

1 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، ص ص23 ، 24.
2 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص56.
3 فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ص14.
4 المرجع نفسه ، ص14.
5 جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، ص24.

3 – الحياة الفكرية الثقافية :

شهدت الحياة الثقافية والأدبية في العصر العباسي ازدهارا واسعا ونموا سريعا في شتى مجالات الآداب والعلوم حيث ساهمت عوامل كثيرة في هذا الثراء الثقافي والتطور الأدبي من بينها الحركة العلمية حيث أن الإسلام دعا أمته في قوة إلى العلم والتعلم والأخذ عن الشعوب الأخرى بفضل ثقافة الإمتزاج بين الشعوب والأمم حيث أنه "بمجرد أن اكتسح العرب العراق وإيران والشام ومصر مضوا ينهلون من كل الثقافات والمعارف التي كانت منبثة في هذه البلدان وأسعفهم في ذلك أنهم عربوا شعوبها وأخذت بنفسها تعرب لهم كل مدخراتها وكنوزها الثقافية"[1]. فالإسلام كان له دور مهم في ارتقاء الحضارة العباسية العربية وتطورها وذلك أنه أذكى "جذور المعرفة والعلم في نفوس المسلمين جميعا، عربا وغير عرب، فدفعهم دفعا قويا إلى العلم والتعلم"[2].

وقد تعددت في هذا العصر أماكن التعلم والتعليم حيث كانت في بداية الأمر في المساجد والكتاتيب، فقد كانت المساجد والكتاتيب في هذه الفترة ساحة كبرى للعلم والعلماء يتوافد إليها الطلبة لتعلم علوم النحو والصرف والقرآن والحديث، فقد "هيأت المساجد –بهذا الإنطلاق– إلى وجود العلماء الذين نوعوا ثقافاتهم ومعارفهم تنوعا واسعا، فأخذوا من كل فن بطرف، ونهلوا من العلوم والمعارف التي كانت تطرح في كل الحلقات، وهؤلاء أطلق عليهم 'المسجديين' وكانت لهم حلقات خاصة، وكان بينهم محاورات ومناظرات"[3].

كما ساهم الوزراء والخلفاء بدور كبير في نشر العلم، "فقد كان تشجيع الخلفاء والوزراء ومن سلك سبيلهم للعلم والعلماء خير عون على ازدهار العلم، وتشجيع العلماء في هذا العصر، فكان الخلفاء يغدقون العطاء على من يشتهر من العلماء أويجيد في علم من العلوم أو فن من الفنون، بل كانوا يفرضون لهم الرواتب الشهرية، ويستدعونهم إلى

1 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)، ص115.
2 فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص15.
3 المرجع نفسه ، ص ص15،16.

دار الخلافة، ويقربونهم من مجالسهم، ويتخذون منهم مؤدبين لأبنائهم، وبخاصة المسجديين الذين كان لهم حظوة خاصة لدى الخلفاء والوزراء"[1].

كما ساهم انتشار استخدام الورق في بلوغ الحركة العلمية غاية كافية من النهضة العلمية والأدبية فقد "أنشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملؤوها بالكتب يتجرون فيها، وكان بعض الشباب يغدو إلى هذه الدكاكين لا ليشتري منها فحسب، بل ليقرأ فيها ما لد وطاب من صنوف الآداب نظير أجر بسيط يتقاضاه منه صاحبها"[2].

ومن أبرز الأسباب أيضا التي ساهمت في انتشار وتنوع الثقافة في هذا العصر حركة "الترجمة والنقل من كتب الأمم الأخرى وعلومهم إلى اللغة العربية، فإذا كان لخلفاء بني العباس في بداية عصرهم عناية بهذه الحركة ، فإن خلفاء هذه الحقبة التي عاشها الجاحظ ووزرائهم كانوا أشد عناية وأكثر اهتماما بهذا النقل وتلك الترجمة المنتظمة، وعنوا بها عناية شديدة"[3].

وقد نشطت هذه الحركة وبلغت "مداها في عهد المأمون، فقد ألحق بدار الحكمة مرصدا كبيرا خصصه لهذا الغرض، وجد فيه الترجمة والنقل"[4].

ومن أبرز المترجمين في هذه الفترة نذكر "الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسهل بن هارون، وحنين بن إسحاق، وغيرهم، وقد اهتم هؤلاء بنقل علوم الأمم في شتى فروع العلم، وبخاصة علوم الهند وطبها وحكمتها، والفرس وصناعتها، واليونان وفلسفتها ومنطقها، وما يتصل بهذه الأمم من تصورهم للأدب وصناعته، فنقلوا صحفا كثيرة عن

1 المرجع السابق ، ص16.
2 شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، ص104.
3 فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص17.
4 المرجع نفسه، ص ن.

الهند تتصل بالبلاغة والبيان، ونقلوا عن أرسطو وأفلاطون مصنفات مختلفة يتصل بعضها بالأدب والبيان"[1].

وكان من نتيجة هذا التطور والرقي في العلوم والفنون والآداب أن "كثرت في هذا العصر المصنفات والمؤلفات في كل العلوم والفنون والآداب ، واهتم كثير من الأفراد على اختلاف طبقاتهم باقتناء المكتبات والإعتناء بنسخ الكتب"[2].

إذا ففي هذا العصر الذي نعم فيه المجتمع العربي الإسلامي بالهدوء والإستقرار والرقي والثراء، وبلغت فيه الحركة العلمية ذروتها ومجدها، وترجمت فيه كتب وعلوم الأوائل في شتى الفروع عاش الجاحظ حياته ونشأ نشأته العلمية الخصبة.

بعد تناولنا في هذا الفصل العناصر البيوغرافية أو السيرية للجاحظ من مولد ونشأة ووفاة إلى أهم مميزات شخصيته وتحصيله الثقافي ، ثم عصره وأسلوبه في الكتابة وأهم آثاره، بالإضافة إلى مميزات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي ميزت عصره. ننتقل إلى الفصل الثاني من البحث حيث ستبدأ دراستنا التطبيقية منه وذلك برصد أهم آراء الجاحظ النقدية في طرفي الخطابة المخاطِب والمخاطَب مع العلم أني سأتبعها بالتعليق المناسب والمنهج المتبع في هذا الفصل هو المنهج الحجاجي باعتباره ركنا من أركان التداولية مع ذكر أهم الآراء التي توافقت مع آراء الجاحظ مدعمين هذا الفصل بالشواهد الشعرية والآراء المختلفة.

1 المرجع السابق ، ص ن.
2 المرجع نفسه، ص16.

الفصل الثاني

آراء الجاحظ النقدية في طرفي الخطابة (الخطاب)

- بما أننا بصدد دراسة آراء الجاحظ النقدية في الخطابة فمن البديهي أن نبدأ الدراسة بطرفي الخطاب كونهما السبب في وجود الخطاب ذاته وهما المخاطب و المخاطب ويقع كل واحد منهما في مبحث ، و الملاحظة الجديرة بالذكر أننا وجدنا تداخلا بين المفاهيم الثلاثة (الخطاب و المخاطب و المخاطب) عند الجاحظ وهذا ما أوجد لنا صعوبة في التفريق بينها ولكننا حاولنا قدر المستطاع أن نعطي كل منها حقها بداية من هذا الفصل ومنه تنطلق دراستنا التطبيقية . وذلك وفق مقاربة حجاجية.

* آراء الجاحظ النقدية في المخاطب و المخاطب :

- المبحث الأول : المخاطب :

- المخاطب هو بالضرورة الشخص الذي ينشأ الخطاب ويلقيه أمام جمهور المستمعين بهدف الإقناع و التأثير فيهم .

1- عيوب المخاطب :

وقد حظي هذا المخاطب لدى الجاحظ بعناية كبيرة ؛ حيث أنه استهل كتابه "البيان والتبيين" بدعاء مفاده التعوذ من عيوب الكلام كالبذاءة في القول و العي و الحصر ، وغيرها وهذا نص الدعاء كما ورد في الكتاب "اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن . ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي و الحصر".[1]

فالجاحظ من خلال هذا الدعاء يركز على بعض عيوب الكلام ويدعو إلى تجنبها كالعي أي عدم القدرة علي الإفصاح وهذر الكلام وهو كثرة الكلام الذي لا طائل منه وسلاطة اللسان وهي حدة القول و الحصر أي الحبسة وعدم القدرة علي النطق، وهي عيوب تحول دون قدرة الخطيب أو المتكلم على إيصال المراد من كلامه إلى المستمع ، وبالتالي لا يتحقق التأثير والإقناع في جمهور المخاطبين ، فالخطيب الناجح هو من يمتلك

1 الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان و التبيين ، تحقيق درويش جويدي ، د ط المكتبة العصرية ، بيروت ، 1423 هـ - 2003 م ، ج1 ، ص 7.

القدرة على إقناع الناس وذلك بإفحامهم بالحجج و البراهين الدالة فالحجاج إذن ليس "إلا إيصال المخاطب إلى قناعات يجهلها أو ينكرها من خلال الحجة الدامغة ، و البرهان المصدق ، و الدليل المؤيد".[1]

– وهو يعني أيضا بمفهومه العادي "طريقة عرض الحجج و تقديمها ، ويستهدف التأثير في السامع ، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعالا" .[2]

وعلى اعتبار الحجة و الإقناع هما أول أهداف الخطابة فقد سعى الجاحظ كثيرا إلي ذم عيوب الكلام باعتبارها تحول والتأثير في المستمعين . وفي ذلك أورد بعض الأبيات الشعرية لمختلف الشعراء للإحتجاج بها على بعض هذه العيوب كما أشرنا آنفا . ومن ذلك قول النمر بن تولب في العي:

"أعدني رب من حصر وعي ومن نفس أعالجها علاجا".[3]

وقال الهذلي :

"ولا حصر بخطبته إذا ما عزت الخطب"[4]

ومما قيل فى الصمت قول أحيحة بن الحلاج :

"و الصمت أحسن من بالفتى ما لم يكن عي يشينه

و القول ذو خطل إذا ما لم يكن لب يعينه" [5]

و يستمر الجاحظ فى ذكر عيوب اللسان فيقول : "وليس حفظك الله مضرة

1 هيثم سرحان ، الحجاج السردي عند الجاحظ ، بحث في المرجعيات و النصيات و الآليات ، د ط ، د ن ، د ت ، ص 10.

2 صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج مداخل ونصوص ، ط 1 ، صفحات للدراسات و النشر، دمشق ، سورية ، 2008 م ، ص 21.

3 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 8 .

4 المصدر نفسه ، ص 8.

5 المصدر نفسه ، ص 9.

سلاطة اللسان عند المنازعة و سقطات الخطل يوم إطالة الخطبة بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة. و الناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من أستولى على بيانه العجز وهم يدمون الحصر ويؤنبون العي ، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الدم و ترادف عليهما التأنيب" .[1]

فسلاطة اللسان عند منازعة الخطباء و سقطات الخطل يوم إطالة الخطبة ليست أقل شأنا من العي و الحصر فهذه العيوب تؤدي إلى اختلال الحجة وعدم إدراك الخطيب لغايته في إقناع الجمهور وإيصال المراد.

ثم يقول الجاحظ في أمراض الكلام: "و أحدهما ألوم من صاحبه والألسنة إليه أسرع. وليس اللجلاج والتمتام و الألثغ ، و الفأفاء وذو الحبسة و الحكلة و الرثة وذو اللفف و العجلة في سبيل الحصر في خطبته و العي في مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثاروالخطل المكثار".[2]

إن هذه العيوب التي ذكرها الجاحظ لا تختلف كثيرا عن بعضها فهي كلها تؤثر في فصاحة الكلام وبيانه وتجعل الخطيب مكروها لدى جمهوره ومملا وذلك بسبب كثرة كلامه الذي لا فائدة ترجى منه .

وقد أورد لنا الجاحظ مثالا يتعلق بأحد أمراض الكلام وهو اللثغة عند واصل بن عطاء وكيف عالجها فواصل كان يتجنب نطق الراء وذلك في كلمة يندد فيها بالشاعر بشار بن برد و يكفره ، فاستهل الجاحظ كلامه بذكر لثغة واصل بن عطاء ، وقبحها وشناعتها ، ويزيد أنه كان طويل العنق جدا ، و لذلك قال فيه بشار:

" مالي أشايع غزالا له عنق كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

عنق الزرافة ما بالي وبالكم أتكفرون رجالا أكفروا رجلا" [3]

1 المصدر السابق ، ص 15.
2 المصدر نفسه ، ص ن.
3 المصدر نفسه ، ص 17.

ليواصل الجاحظ حديثه عن واصل وينقل لنا ما يروى عن أبي حفص عمر بن أبي عثمان الشمري من إيضاحات على مقدرة واصل في اختيار الكلمات الخالية من الراء

"وهنا لا يدع الجاحظ هذه القضية تفلت من يده ... فالكلمات التي تجنبها واصلا هي الأفصح ، ولكنه أضطر إلى تركها ليتخلص من عيب لسانه في نطق الراء ، وهنا – على سبيل ما يبدو دفاعا عن واصل من ناحية ، وضربا لمثل فد في تغلب الخطيب علي أحد العيوب الخطيرة في النطق من ناحية أخرى" [1]

وهناك عيوب أخرى للكلام ذكرها الجاحظ منها التشديق و التقعير والتقعيب فيقول: "ثم أعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء و البلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عي يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لأهل الإعتياد والدربة. ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القح" [2] .

هنا يقارن الجاحظ بين التشديق و التقعير و التعقيب ، وأنه على الرغم من قباحتها و أنها تعيب الخطب إلا أنها لا ترتقي إلى سماجة عي التكلف و الحصر ، وشنعة التزيد ، وهذا يؤثر سلبا علي الإقناع و التأثير ، فتعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب .

ومن العادات السيئة و المنتشرة كثيرا لدى الخطباء نجد النحنحة يقول : "سحيم بن حفص في الخطيب الذي تعرض له النحنحة و السعلة وذلك إذا أنتفخ سحره وكبا زنده ونبا حده فقال :

نعوذ بالله من الإهمال ومن كلام الغرب في المقال.

1 عبد الحكيم راضي ، الابعاد الكلامية و الفلسفية في الفكر البلاغي و النقدي عند الجاحظ ، ط 3 ، مكتبة الأداب،القاهرة، 2006 م ، ص 52 .
2 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 15 .

ومن خطيب دائم السعال"[1]

وقال بشر بن المعتمر في مثل ذلك :

"ومن الكبائر مقول متتعتع جم التنحنح متعب ميهور.

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب ... وقال الأشل الأزرقي – من بعض أخوال عمران بن حطان الصفري القعدي – في زيد بن جندب الأيادي خطيب الأزارقة و اجتمعا في بعض المحافل فقال بعد ذلك الأشل البكري :

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الأسل .

ويل أمه إذا ارتجل ثم أطال و احتفل . [2]

ومما يدم في الخطيب أيضا رقة صوته حيث قال بشار بن برد في ذلك يهجو بعض الخطباء :

" ومن عجب الأيام أن قمت ناطقا وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر."[3]

كما أنهم عابوا علي الخطباء ضيق أفواههم ، لأنه يدل على ضآلة الصوت .

قال الشاعر :

"لحا الله أفواه الدبى من قبيلة إذا ذكرت في النائبات أمورها .

وقال الآخر :

وأفواه الدبى حاموا قليلا وليس اخو الحماية كالضجور" .[4]

ومن بين العيوب التي ذمها العرب أيضا في الخطيب ترداد الكلام لما له من أثر سيئ في الأسماع فتمله ، نورد مثالا على ذلك في حديث السماك مع جاريته حيث قال : "وجعل السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما أنصرف إليها قال لها : كيف

1 المصدر السابق ، ص 34.
2 المصدر نفسه ، ص 35.
3 المصدر نفسه ، ص 84 .
4 المصدر نفسه ، ص 83.

سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لو لا أنك تكثر ترداده ، فقال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه، قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه" [1]

من خلال هذا يتضح أن "جملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى إلى وصفه وإنما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام و الخواص."[2]

ولكي يحقق الخطيب غايته من الخطبة و يؤثر في المستمعين عليه أن يتصف بالبيان و الفصاحة ويسلم من عيوب اللسان لأن اللسان أداة البيان . وقد قال عز وجل في كتابه : "﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿٤٦﴾" : [3] . علق الجاحظ على قوله تعالى وفسره بأن" مدار الأمر علي البيان و التبيين وعلى الإفهام والتفهم .

وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أشد إستبانة كان أحمد . والمفهم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المفهم أفضل من المتفهم و كذلك المعلم و المتعلم" [4]

فالجاحظ لا يكف عن الإنتصار للحجاج القادر على تحقيق المقاصد و الغايات فاللسان من أقوى أسلحة الإنسان و أشدها قدرة على انجاز الحجاج وتحقيقه التأثير في القلوب .

فكلما كان اللسان أفصح كان أقرب إلى القلوب و أسرع وصول إليها .

فالخطيب الجيد هو الذي يكون مدركا لكلامه و مقتنعا به هو نفسه قبل أن يحاول إقناع الآخرين به فالمفهم أفضل من المتفهم لأن غاية الخطيب دائما تكون الإقناع و التأثير في المستمعين .

ولنا أن نستشهد بشاهد آخر على دور اللسان في الفصاحة و الإبانة و إيصال المراد بدعاء موسى عليه السلام عندما سأل الله عز وجل بإبلاغ رسالته إلى فرعون "فقال

1 المصدر السابق ، ص 72.
2 المصدر نفسه ، ص ن.
3 إبراهيم ، 46.
4 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 14.

حين ذكر العقدة التي في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه ."[1] ، يقول عز وجل على لسان موسي عليه السلام : "﴿وَاحلُل عُقدَةً مِن لِساني ﴿٢٧﴾ يَفقَهوا قَولي﴿٢٨﴾ " [2] .

وقال : "﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي... ﴾" [3] وذلك "رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة و المبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل و العقول عنه أفهم و النفوس إليه أسرع وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ افهامهم على بعض المشقة." [4]

فموسى عليه السلام أدرك أنه يعاني من عيب في الكلام و أن هذا العيب سيؤثر في محاولته لإقناع فرعون بالانضمام إلى الإيمان وترك الشرك بالله و الإيمان بوحدانيته.

2-محاسن المخاطب:

بعد التطرق إلى بعض عيوب النطق و اللسان لدى الخطباء و التي تحول دون إدراكهم لغايتهم في إقناع جمهورهم ، وهذه العيوب تعتبر من سلبيات الخطيب التي تنقص من بيانه و فصاحته ، لنا أن نتطرق الآن في مقابل ذلك إلى بعض ايجابيات الخطيب و أهم ما يمدح به و أهم ما يجب أن يتوفر فيه .

إن أهم ما يمدح به الخطيب أثناء إلقاء الخطب تشادق الكلام و جهارة الصوت و فصاحة البيان ، فأما في ما يخص التشادق في الكلام فقد أورد الجاحظ الكثير من الشواهد الدالة على ذلك منها قول أبو عبيدة :

" وصلع الرؤس عظام البطون رحاب الشداق طوال القصر"[5]

كما يمدح في الخطيب قوة صوته و جهارته ، "و قد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا جهير الصوت ، وقد مدح بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس : يا أصحاب سورة

1 المصدر السابق ، ص 11.
2 طه ، 27 ، 28.
3 الشعراء، 13.
4 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين،ج 1 ، ص 11.
5 المصدر نفسه، ص 82.

البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتراجع القوم و أنزل الله عز وجل النصرة وأتى بالفتح "[1] .

فقوة صوت الخطيب إحدى المؤهلات الهامة فيه والتي تجعله ذا قدرة هائلة على الإقناع و التأثير و الإستمالة.

ومن الشواهد الشعرية أيضا في تفضيل الجهارة علي الدقة في الخطب قول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس :

"ألا ليت أم الجهم و الله سامع ترى حيث كانت بالعراق مقامي

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

ركوب المنابر وثابها معن بخطبته مجهر

تريع إليه هوادي الكلام إذا ضل خطبته المهدر[2]"

و أنشد أبو عمرو الشيباني لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم ، قال الشاعر :

"إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا و الريح عاصفة و الموج يلتطم"[3] .

ولا ننسى الفصاحة "فالفصاحة وقوة البيان هي التي تجعل الخطيب قادرا على استمالة عقول الجماهير و جدبها إليه ،هذا إلى جانب أسلوبه الخطابي الذي يتميز بتخير الألفاظ و تنسيق العبارة و العناية بزخرفتها و المبالغة في الصنعة" .[4]

فالتشادق في الكلام و الجهارة في الصوت و الفصاحة في اللسان من أهم المميزات التي تجعل الخطيب قادرا على استمالة العقول و جدب القلوب إليه و بالتالي التأثير في المستمعين و إقناعهم بأهدافه لأن غرض المخاطب من الخطاب هو إقناع المخاطب بالدرجة الأولى بما يسعى إليه في خطابه .

1 المصدر السابق ، ص83.
2 المصدر نفسه ص ص ، 85 ، 86.
3 المصدر نفسه ،ص 87.
4 محمود رزق حامد ، النقد الأدبي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، ط 1 ، دار العلم و الإيمان للنشر والتوزيع، 2010 م ، ص 223.

و عاد الجاحظ من جديد إلى ذكر عيوب الخطيب و ذلك في قوله: "و أعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته أن يعترض الخطيب البهر و الارتعاش والرعدة و العرق"[1] .

فالخطيب الناجح يجب أن يكون واثقا من نفسه متحكما في أعصابه و مرتاحا نفسيا حتى يثق فيه جمهور المخاطبين و ينصت له و يقتنع بكلامه ، فهذه العيوب من شأنها أن تؤثر سلبا في عملية إقناع المستمعين فالجاحظ يرى أن الرعدة و الارتعاش و البهر والعرق عند الخطيب عيوب لا تقل أهمية عن دقة الصوت وضيق مخرجه و ضعف قوته.

و لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح ."[2]

الخطيب المثالي إذن هو الخطيب "المطبوع الحاذق الواثق بغزارته و اقتداره ، فالثقة تنفي عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة و النحنحة و الانقطاع و البهر و العرق ."[3]

2-أهم صفات الخطيب :

من أهم ما يجب أن يتصف به الخطيب الحق هو "أن يكون رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللفظ ، متخير اللفظ . لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما."[4]

فعلى الخطيب المميز الناجح المقتدر أن يجمع كل هذه الصفات في شخصيته حتى تكون خطبته مؤثرة في النفوس و مقنعة للألباب ، "لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 89.
2 المصدرنفسه ، ص 90.
3 المصدرنفسه ، ص ن .
4 المصدرنفسه ، ص ص 65 ، 66.

يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ."[1]

فغاية الخطيب دائما هي إيصال الكلام إلى السامع و إقناعه بما يرمي إليه فإذا تمكن الخطيب من ذلك فقد حقق الغاية و القصد من بيانه.

كما أنه يجب على الخطيب أن يراعي أحوال وطبقات المخاطبين وفي ذلك أورد الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" صحيفة بشر بن المعتمر إذ يقول : "وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي و الخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك و لطف مداخلك و اقتدارك على نفسك على أن تفهم العام معاني الخاصة و تكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام ."[2]

فبشربن المعتمر يدعو إلى المطابقة بين الكلام و المقام الذي يقال فيه مع مراعاة أحوال وطبقات المخاطبين فإن تمكن الخطيب من ذلك فهو البليغ التام في نضره . يواصل بشربن المعتمر قوله:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدارالمقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ."[3] يواصل بشر هنا دعوته الخطيب إلى مراعاة أحوال و طبقات المخاطبين ، حيث يجب أن يخاطب كل طبقة بما يناسبها و يوازن بين ألفاظه ومعانيه و بين حالات وأقدار المستمعين .

"فالخطيب عليه أن ينظر في حال كل طبقة ممن يتحدث إليهم ، و أن يراعي ما يجب لكل طبقة من المقال ، فإذا نقح ألفاظه و دقق معانيه ، وكان يخاطب العامة من الناس

1 المصدرالسابق ، ص 56
2 المصدرنفسه ، ص 91 .
3 المصدرنفسه ، ص 92

خرج كلامه عن دائرة البلاغة ، لخلوه من المطابقة لمقتضي الحال و ما يجب لكل مقام من المقال ."[1]

ويقول الجاحظ في هذا الصدد مخاطبا الكاتب :" إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام و أرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو فإنه لا يرضيهما شيء ."[2]

فالجاحظ لم يغفل عن هذا التطابق بين الكلام و المقال الذي يقال فيه حيث يواصل في نفس الفكرة ، فيدعو المتكلم أن يراعي أحوال المخاطبين ، فلا يكون ما يوجهه إليهم فوق مستواهم الفكري و الاجتماعي "و ذلك بأن يأخذ المتكلم في الاعتبار حال من يخاطب ، فيعرف قدره و مكانته الاجتماعية فيختار من الألفاظ و العبارات ما يناسب هذا المتكلم ، فما خطاب الملوك أو القادة أو الرؤساء ، مثل خطاب عامة الناس ، بل ما خطاب الملك مثل خطاب الوزير ، ولا خطاب الوزير مثل خطاب المدير ... وقس على ذلك ."[3]

كما أنه من شأن هذه المطابقة بين الخطاب و المقام الذي يقال فيه التأثير في عقول و قلوب السامعين و إقناعهم لأن "هذه المطابقة هي علة التأثير و تحقيق غاية الأدب ، وهذه الغاية لا تتحقق إلا إذا كان الأديب يصوغ كلامه ، بحيث يفهمه السامعون ليتدبروه و يتأثرو به ، ويشاركو صاحبه فيما عبر به من فكر أو عاطفة أو انفعال ."[4]

3- أهم من أشتهر بالخطابة من الشعراء :

ذكر لنا الجاحظ في مؤلفه "البيان و التبيين" بعضا من الشعراء الذين برعوا في مجال الخطابة إلى جانب الشعر وفي هذا يقول :" وفي الخطباء من يكون شاعرا و يكون إذا تحدث أو وصف أو أحتج بليغا مفوها بينا ، و ربما كان خطيبا فقط ، و بين اللسان فقط، ومن الشعراء الخطباء الأبيناء الحكماء قس بن ساعد الأيادي ، و الخطباء كثير و الشعراء

1 فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، د ط ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 2005 م ، ص 177.
2 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 79.
3 وليد إبراهيم القصاب ، أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي" في البلاغة العربية " ، لندوة الدراسات البلاغية ، الواقع والمأمول ، 1432 هـ ،ص 670.
4 فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص 176.

أكثر منهم ، ومن يجمع الخطابة و الشعر قليل ومنهم عمر وبن الأهتم المنقري ، وهو المكحل ، قالو كأن شعره في مجالس الملوك حلل منشرة ، قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قيل للأوسية أي منضر أحسن ؟ قالت : قصور بيض في حدائق خضر."[1]

ومن الخطباء الشعراء أيضا ذكر الجاحظ" البعيث المجاشعي و اسمه خداش بن بشر بن لبيد. ومن الخطباء الشعراء الكميث بن زيد الأسدي و كنيته أبو المستهل . ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي و كنيته أبو نفر ، قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميث أنشدت الكميث قول الطرماح :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال : فقال الكميث : إي والله وعنان الخطابة و الرواية ." [2]

فهؤلاء هم أشهر الخطباء الذين كانوا يمارسون قول الشعر إلى جانب الخطابة وغيرهم كثيرون لم نذكرهم .

وخلاصة القول في هذا المبحث المتعلق بالخطيب ما قاله كريس ستيوارد ومايك ولكنسون : "إن الخطيب الحق هو من لا يعرف قبل أن ينهض للخطابة ما الذي سيقوله ، و أثناء تكلمه لا يعرف ما يقوله ، و عندما يجلس لا يعرف ما يكون قد قاله ."[3]

فالخطيب الحق هو الذي يمتلك القدرة على ابتداع وابتكار الكلام في حينه دون تكلف أي يكون الكلام نابعا من فطرة و سليقة .

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 37 ، 38.
2 المصدرنفسه ، ص 38.
3 كريس ستيوارد ومايك ولكنسون ، المرشد إلى الخطابة ، ترجمة : جورج خوري ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1990 ، ص 11.

المبحث الثاني : المخاطب :

تناولنا في المبحث الأول من هذا الفصل أحد طرفي الخطاب و هو المخاطب أو المتكلم، وفي هذا المبحث سوف نتناول الطرف الثاني من الخطاب ألا وهو المخاطب أو المتلقي ونعرض أهم الآراء التي قيلت فيه مع الإشارة إلى أن الجاحظ لم يول اهتماما كبيرا لهذا الطرف و صب جل اهتمامه على المخاطب وعلى الخطاب في حدادته ومصاحباته (الإشارة) .

ذكرنا سابقا أي في المبحث الأول وجوب مطابقة المقال للمقام أو مقتضى الحال الذي يعد "عمدة للبلاغة العربية وقد ارتبطت به حتى صار جزءا من تعريفها .

ومقتضى الحال ، أو المقام يعني – فيما يبدوا– شيئين :

أ – السياق الخارجي

ب – المخاطب (المتلقي)" [1]

فالسياق الخارجي هو الغرض أو الإطار العام الذي يوجه الكلام ضمنه بأن يورد بصفة مخصوصة .

أما المخاطب أو المتلقي هو" مستقبل الرسالة ، وهو المستهدف بالخطاب ، ولذلك كان عنصرا أساسيا في عملية الإبداع ، وهو أحد أركان نظرية الاتصال ."[2]

ويعرفه محمد بن عبد الجليل تعريفا آخر فيقول بأنه "عنصر من عناصر المقام ، وهو اقتضاء الموقف ، وقد أولاه البلاغيون عناية بها خليق بما أسموه مراعاة حال المخاطب ، وهو المستمع الذي عناه العاني بما صدر عنه من مقال ، وهو الذي حضي بالاهتمام من مقام شارك فيه و أعان عليه، إلى مقال قيل فيه ووجه إليه ."[3]

1 وليد إبراهيم القصاب ، أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي"في البلغة العربية" ، ص 651.

2 المرجع نفسه ، ص 651 .

3 محمد عبد الجليل ، تصور المقام في البلاغة العربية ، ط 1 ، دار المعرفة، مصر ، 2005 ، ص 13 ، نقلا عن عزوز سطوف، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف انموذجا (رسالة ماجستير) ، جامعة منتوري، قسنطينة ، إشراف عمار ويس، 2010، ص 44.

1- مراعاة حال المخاطب :

ومراعاة حال هذا المخاطب و منزلته و ثقافته هي مراعاة لمقتضي الحال ، وهذا ما عناه بشير بن معتمر في صحيفته التي أوردها الجاحظ في كتاب "البيان والتبيين" إذ يقول: "ينبغي للمتكلم" أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما و لكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ."[1]

فالخطاب يختلف من شخص إلى آخر و من طبقة إلى أخرى كل حسب مستواه ، فخطاب العامة يختلف عن خطاب الخاصة وخطاب الملوك يختلف عن خطاب المملوكين، وخطاب الوزير يختلف عن خطاب المدير، فكل فئة تختلف عن الفئة الأخرى في خطابها، ولكن إن "أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مداخلك و اقتدارك على نفسك على أن تفهم العام معاني الخاصة و تكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، و لا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام "[2]. وبذلك يتحقق الإقناع .

2- ما يجب على المخاطب :

وبالمقابل طبعا من كل هذا فعلى المخاطب أو المستمع أن يحسن الإستماع ولذلك قال الحكماء:" (كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول) ، و (إذا جالست العلماء فكن على أن تستمع أحرص منك على أن تقول) ، و(تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول) ، وقالو: (رأس الأدب كله حسن الفهم و التفهم و الإصغاء للمتكلم)."[3]

وفي هذا الصدد يقول الجاحظ : "لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه"[4] .

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 92 .
2 المصدرنفسه ، ص 91.
3 عزوز سطوف ، بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف انموذجا (رسالة ماجستر) ، ص ص 44 ، 45.
4 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 72 .

أي لا تلقي خطابك على من لا يصغي لك ويحسن الإنصات إليك لأن الخطاب أساسا موجه للمستمع فإذا أعرض عنه المستمع فلن تتحقق الغاية منه .

وقال عبد الله بن مسعود : "حدث الناس ماحدجوك بأسماعهم و لحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فأمسك ." [1] فرأيه هنا يتوافق مع رأي الجاحظ السابق .

فالمخاطب حاضر دائما في التراث الأدبي العربي ، يقول أبو مقيل بن درست "إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالإستماع منه ."[2]

وهذا إن دل على شيء إنما يدل علي حرص مقيل على حث المستمع على حسن الإستماع حتي يبلغ القائل غايته من الخطاب أو القول .

وهنا نجد الجاحظ يقول مخاطبا الكاتب : "إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام و أرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد و العدو فإنه لا يرضيهما شيء ."[3]

فالجاحظ يوجه نصيحة إلى الكاتب و يحثه على وجوب مراعاة المستمعين و إعطائهم حقهم من الإهتمام ووجوب إرضائهم فإن تمكن من ذلك فقد فقد حقق غايته من الخطاب ألا وهو الإقناع و التأثير .

وخلاصة القول في هذا الفصل أن الباحثين و البلاغيين القدماء لم يولوا عناية واسعة بالمخاطب و ركزوا اهتمامهم على المخاطب باعتباره منشئ الخطاب ، والخطاب هو موضوع دراستنا في الفصل القادم من هذا البحث ، حيث سنركز على أهم مميزات الخطاب و أهم ما قيل فيه من آراء نقدية و أهم العادات التي كان العرب يلتزمون بها قديما أثناء إلقاء الخطب و غير ذلك مما يسرد في الفصل . وذلك وفق المنهج الحجاجي .

---

1 المصدرالسابق ، ص ن .

2 المصدرنفسه ، ج 2 ، ص 385 .

3 المصدرنفسه ، ج 1 ، ص 79.

الفصل الثالث

آراء الجاحظ النقدية في الخطابة (الخطاب)

تطرقنا في الفصل الثاني من هذا البحث إلى طرفي الخطاب أو طرف العملية التواصلية : المخاطب و المخاطب وتعرضنا لأهم الآراء التي تناولها الجاحظ في كتابه الموسوم "بالبيان و التبيين" بخصوص هذين الركنين ، لننتقل في هذا الفصل و هو فصل تطبيقي مكمل للفصل الثاني إلى الركن الثالث في العملية التواصلية و التخاطبية و هو الخطاب في حد ذاته وذلك بالتعرض لأهم الآراء النقدية التي أوردها الجاحظ في نفس الكتاب بخصوصه (الخطاب) . وذلك وفق المنهج الحجاجي لأنه الأنسب للخطابة باعتبارها تقوم على الإقناع والتأثير .

وقبل أن نخوض في أهم ما قيل في الخطابة عند الجاحظ لابأس أن نعرف بها عند مجموعة من الأدباء كل حسب رأيه بدء بالتعريف اللغوي و انتهاء بالتعريف الاصطلاحي كالآتي :

1- مفهوم الخطابة :

أ- لغة :

جاء في لسان العرب "لابن منظور" في مادة خطب :

"خطب : الخطب: الشأن أوالأمر، صغر أو عظم، و الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطاب، و هما يتخاطبان .

الليث: و الخطبة مصدر الخطيب ، و خطب الخاطب على المنبر و اختطب يخطب خطابة ، واسم الكلام : الخطبة ، و الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب ... و ذهب أبو إسحاق إلى الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ."[1]

ب - اصطلاحا :

تعددت و تنوعت تعريفات الخطابة من باحث إلى آخر كل حسب رأيه و سأكتفي بذكر بعض منها كالآتي:

1 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خطب ، ضبط نصه و علق علي حواشيه : خالد رشيد القاضي ، ط1، دار اديسوفت، بيروت، لبنان ، 1427 هـ - 2006 م ، ج4 ، ص ص 129، 130 .

الخطابة أو الخطبة عند عبد الجليل العشراوي هي:"موضوع له بداية و نهاية يلقيه الخطيب بأسلوب نثري سجعي على إثر أمر يستدعي ذلك" [1]

في حين يعرفها محمود رزق حامد بأنها : "فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع و الإستمالة"[2] . و غير بعيد عن هدا المعني يعرفها سامي يوسف أبو زيد بأنها : " فن الإقناع و الإمتاع و الأصل في تذوقها أن تسمع لحظة إلقائها " .[3]

في حين يعرفها عبد العزيز عتيق بأنها : " الحديث المنطوق تمييزا لها عن الحديث المكتوب ، و هي تحتاج إلى الخيال وبلاغة ، و لذلك تعد من قبيل الشعر ، و هي شعر منثور وهو شعر منظوم "[4]

وهذا أرسطو يعرفها تعريفا آخر فيقول بأنها :" القدرة على النظر في كل ما يوصل الى الإقناع في أي مسألة من المسائل أو هي القوة التي تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة . "[5]

2- آراء الجاحظ النقدية في الخطابة :

أ- مفهوم البيان عند الجاحظ :

وقد اقترن مفهوم الخطابة عند الجاحظ بالبيان حيث يقول : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته"[6]

فالبيان معناه عند الجاحظ هو كل كلام و كل قول كشف لك عن المعنى الخفي حتى يوصل السامع إلى حقيقته و مغزاه و في نفس الفكرة يواصل قوله أيضا : " و الدلالة

1 عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، ط 1، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2012 م ص7.

2 محمود رزق حامد ، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي ، ط1 ، دار العلم و الإيمان للنشر والتوزيع ، 2010 م ، ص 214 .

3 سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلسي ، ط1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ،عمان ، 1433 هـ -2012م، ص 293 .

4 عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس،د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 438 .

5 محمود رزق حامد ، النقد الأدبي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، ط 1 ، دار العلم و الإيمان للنشر والتوزيع، 2010 م ، ص 233.

6 الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي ،د ط، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1423 هـ - 2003 م ، ج 1 ، ص 56.

الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان "[1] ، إلى أن يقول : " ومدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ".[2]

فإذا حقق القائل الإفهام و تمكن السامع من الفهم فذلك هو البيان وبذلك يتحقق الإقناع و تحقق الغايات و المقاصد من ذلك البيان .

ويري فوزي السيد عبد ربه أن " البيان الذي قصد إليه الجاحظ و عناه في كتابه ، وأدار حوله مسائله هو : القدرة علي الإبانة و الكشف عما في النفس ، و الإفصاح عما في الضمير بطريق اللسان و الألفاظ ".[3]

كما أن محمد العمري يري أن " مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي ، أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم و الإفهام في حالة اشتغالها ، حتى و إن أقتضى الإجراء التعليمي تقديمها منفصلة أو ساكنة أحيانا ".[4]

فكلام الجاحظ عن البيان يفيد إطلاق (البيان) على كل ما يكشف المعنى بلفظ أو غيره ، ثم يعدد الجاحظ أصناف الدلالات على المعنى من لفظ أو غير لفظ فيحصرها في " خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد ، أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، تسمى نصبة . و النصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات . و لكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها و هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير و عن أجناسها و أقدارها و عن خاصها و عامها و عن طبقاتها في السار والضار، و عما يكون منها لغوا و بهرجا وساقطا مطرحا . " [5]

1 المصدر السابق ، ص ن.
2 المصدر نفسه ، ص ن.
3 فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين ، د ط ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 2005 مـ ، ص 122.
4 محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، د ط ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 1994 م ، ص 191.
5 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 57 .

نلاحظ هنا أن الجاحظ ذكر البعد اللغوي للخطاب و هو اللفظ ثم أردفه بالبعد الغير لغوي و هو الإشارة ثم وضع الحال و هو وصف عام يجمع بين البعد اللغوي والسياق الخارجي ليتطرق إلى دور كل منها في الإبانة عن المعنى في الجملة وعما يكون منها لغوا و ساقطا .

إن البيان عند الجاحظ يتنازعه مفهومان أو وظيفتان :

1 – "البيان معرفة : الوظيفة الفهمية .

2 – البيان إقناع : الوظيفة الاقناعية .

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريحة و الوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة المتحكمة في مقدمة الكتاب ".[1]

و هذا معناه أ ن البيان عند الجاحظ يقتصر على وظيفتي الفهم و الإقناع أكثر من غيرها فالأمر يتعلق بإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر انطلاقا من وظيفة اللغة الأولى " وهي التواصل و كشف الكامن في الصدور ".[2]

ثم يأتي حديث الجاحظ عن أحسن الكلام و أنه" ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ."[3]

فأحسن الكلام عند الجاحظ هو الكلام القليل ذو الفائدة و الذي يغني عن الكلام الكثير، فليس الحسن في الكثرة أو القلة و إنما في قدرته على إظهار المعنى و الإقناع .

كما يورد لنا ما نقله عن بعضهم في صفات الكلام البليغ فيقول: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك ". [4]

فالكلام البليغ هو الذي يزاوج بين الألفاظ الجيدة و المعاني الواضحة حتى أن السامع يعجز عن التفضيل بينهما وعن مقاومة تأثيرهما .

1 محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص 194 .
2 المرجع نفسه ، ص ن .
3 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 61 .
4 المصدر نفسه ، ص 78

وفي موضع آخر نجد الجاحظ يلجأ إلى تعميم ظاهرة الألفاظ و المعاني و ذلك لميل العامة إلى السهل من اللغات ، فيقول: "وقد يستخف الناس ألفاظا وسيستعملونها و غيرها أحق بذلك منها ... والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا و تدع ما هو أظهر و أكثر . ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار و لم يسر ما هو أجود منه ، وكذلك المثل السائر ." [1]

فالعامة من الناس في أغلب الأحيان يميلون إلى استعمال الألفاظ الخفيفة على الاستماع و المتداولة على الألسنة وذلك لخفتها ووضوحها و بذلك يتحقق المراد من الخطاب من إقناع للمخاطبين و استمالتهم .

ولتحقيق الخطيب غايته و مراده من الخطاب لابد له من غرض أو إطار عام يوجه كلامه بأن يورده بصفة مخصوصة ، " فصفة الكلام تكون وفقا للغرض المقصود ، فلكل غرض من أغراض الكلام تركيب يناسبه . " [2]

وفي هذا الصدد يقول الجاحظ: " لا خير في الكلام لا يدل على معناك و لا يشير إلى مغزاك و إلى العمود الذي إليه قصدت و الغرض الذي إليه نزعت . "[3]

فالكلام الذي لا يشير ولا يدل على المعنى الذي ترمي إليه و إلى المغزى الذي قصدت إليه لا يحقق غايته و مقصده من الإقناع و التأثير فجوهر الخطابة هو الإقناع والاستمالة والتأثير .

ولكي يحقق الكلام تأثيره في السامع لابد له أن يكون موجزا و معبرا و هذا ابن المقفع " يعلن ميله الشديد إلى الإيجاز و التلميح بدل التصريح و التوضيح ، لأن البلاغة في نظره هي الإيجاز الذي يقوم علي تركيز الفكرة و تكثيفها في أقل ما يمكن من الألفاظ . "[4]

1 المصدر السابق ، ص 20.
2 عزوز سطوف ،بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، (رسالة ماجستير) ، جامعة منتوري، قسنطينة ، إشراف عمار ويس، 2010 م ، ص 43 .
3 أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين ، ج 1 ص 79.
4 مصطفي البشير قط ، مفهوم النثر الفني و أجناسه في النقد العربي القديم ، د ط ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2009 م ، ص 36.

ومن معاني البيان أيضا الإيضاح والإفصاح، و من هنا مدح الله " القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل و الإيضاح ، وبجودة الإفهام ، وحكمة الإبلاغ" .[1]

قال تعالى في كتابه العزيز : " ﴿الرَّحْمَـــنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ " [2] وقال أيضا " ﴿وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلناهُ تَفصيلًا ﴿١٢﴾".[3]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن البيان عند الجاحظ " صناعة تقوم على أصول وضوابط لها آثارها البعيدة في خلود الأدب ، وفي سهولة حفظه ، وجريه على ألسنة الناس ، ولولا هذه الضوابط التي تقوم عليها هذه الصناعة لاندثر الأدب في كل العصور، كما يندثر سائر الكلام المنثور".[4]

ب – سنن الخطابة :

أورد لنا الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين" بعض السنن الخاصة بالخطابة من إيجاز و إطالة فاستحب الإطالة في بعض المواضع و الإيجاز في بعضها الآخر، أي تكون الإطالة و الإيجاز تبعا للموضوع الذي تقام الخطبة لأجله فيقول : " و السنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب ."[5]

فعندما يكون الموضوع متعلقا بالنكاح فمن الأفضل أن يطيل الخطيب في خطبته ويختصر المجيب في إجابته .

وأورد في باب الإطالة قول أبو الحسن : قيل لإياس : " ما فيك عيب إلا كثرة الكلام: قال: فستسمعون صوابا أم خطأ ، قالوا : بل صوابا . قال : فالزيادة من الخير خير . وليس– كما قال– للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية . وما فضل عن مقدار الاحتمال

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1، ص 12 .
2 الرحمان ،1 – 4 .
3 الإسراء، 12 .
4 فوزي السيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص 142 .
5 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 79 .

ودعا إلى الاستثقال و الملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل و هو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه ".[1]

كما كانوا يميلون إلى خطب القصيرة " لتكون أعلق بالصدور ، و أذيع بين الناس ، حيث أنهم كانوا يتناقلونها مشافهة و يروونها كالشعر ".[2]

وقد أورد لنا الجاحظ أيضا في كتابه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان ممن يميلون إلى الإيجاز في الكلام كما كان يعيب التكلف فيه حيث يقول : " وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهوالكلام الذي قل عدد حروفه و كثر عدد معانيه و جل عن الصنعة ونزه عن التكلف ". [3]

كما تحدث الجاحظ عن مدلول الخطبة المتكاملة و هي الخطبة التي يبتدئ صاحبها بالتحميد و الصلاة على الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) كما يجب أن يضمن الخطبة آيات من القرآن الكريم فيقول في هذا : " وعلى أن خطباء السلف الطيب ، و أهل البيان من التابعين بإحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد " البتراء" ويسمون التي لم توشح بالقرآن و تزين بالصلاة على النبي صلى الله تعالي عليه وسلم " الشوهاء" ." [4]

فكلما ضمن الخطيب خطبته شيئا من القرآن الكريم و استهلها بالتحميد و الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم كانت أشد تأثيرا في القلوب و أكثر إقناعا للعقول وبرزت الحجة و البرهان فيها .

وكان العرب يستحسنون أيضا أن تضمن الخطب شيئا من الشعر : " و أكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء . وسمعت مؤمل بن خاقان و ذكر في خطبته تميم بن مر فقال : إن تميما له

1 المصدر السابق ، ص 70.
2 محمود رزق حامد ، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، ص 219.
3 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 2 ، ص 244.
4 المصدر نفسه ص 239 .

الشرف لقديم العود و العز الأقعس و العدد الهيضل وهي في الجاهلة القدام و الذروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فقلت له وأذكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم ؟ !"[1]

كانت هذه أهم سنن الخطابة التي كان العرب يتقيدون بها في خطبهم و يبنونها على هذا الأساس كما وردت في "البيان و التبيين".

ج- أهم القبائل التي اشتهرت بالخطابة و أهم خطبائها :

تطرق الجاحظ في كتابه "البيان و التبيين" إلى ذكر أهم القبائل المعروفة بخطبها وخطبائها و تفوق بعضهم على بعض في هذا الفن النثري فذكر " يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيباني عند يزيد بن الوليد ، و معبد بن طوق العنبري و مصقلة بن رقبة بن مصقلة عند عبد القيس وكرب بن رقبة ، وقيس بن خارجة وسحبان وائل و أبو عمار الطائي عند مدحج و أيوب بن الفرية و كذلك من الخطباء غطفان في الجاهلية خويلد بن عمرو والوضاح بن خيتمة و نجد كذلك شبيب بن شيبة ، ومن خطباء آل الأهتم نجد عمرو بن الأهتم، ومن بني منقر نجد عبد الله بن الأهتم ، وعبد الله بن عبد الله لن الأهتم و منهم خاقان بن الأهتم و غيرهم . كما نجد من خطباء هديل ابو المليح الهذلي أسامة بن عمير وأبو بكر الهذلي... "[2] وغيرهم كثيرون لم نتطرق إليهم .

ومن القبائل التي كانت تشهد تفوقا على مثيلاتها في فن الخطابة ذكر الجاحظ إياد وتميم فيقول : " و لإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب "[3] ، فذكر من إياد قس بن ساعدة فيقول : " وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي الخطيب الأزرقي في مرثيته لأبي داود بن جرير الإيادي حيث ذكره بالخطابة و ضرب المثل بخطباء إياد فقال :

1 المصدر السابق ، ج 1 ، ص 80.
2 ينظر ، أبوعثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص ص - 204 – 209 .
3 المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 32 .

كقس إياد أو لقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زيد بن جندب. "[1]

ونجد من بني تميم عمرو بن الأهتم وقد تطرقنا إليه من قبل ، فإياد و تميم قد حظيتا بالتفوق و البراعة في الخطابة دون سائر القبائل الأخرى بفضل خطيباها الموهوبين قس بن ساعد الإيادي و عمرو بن الأهتم .

د-أسباب تفوق العرب على غيرهم من الأمم في الخطابة :

ساهمت عوامل عديدة في تفوق العرب على غيرهم من الأمم في فن الخطابة من بينها : قوة البديهة والارتجال والفصاحة و البيان فيقول الجاحظ : " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة و ارتجال ، و كأنه إلهام ، وليست هناك معاناة و لا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ، و لا استعانة ." [2] ، فقوة البديهة و الفصاحة و البيان من أهم العوامل التي ساعدت العرب على التفوق في فن الخطابة. بالإضافة إلى عوامل أخرى ، فقد ساعدت موهبتهم البلاغية و فصاحتهم الفطرية على ازدهار هذا الفن و على تفوقهم فيه " فالعرب أمة ذات مواهب مشهود لها في البلاغة حتى لقد فضلها الجاحظ في كتابه البيان و التبيين على جميع أمم الأرض في فن الخطابة . "[3]

كانت هذه أهم العوامل المساعدة علي تفوق العرب علي غيرهم في فن الخطابة ، وقد تعددت الموضوعات أو المحاور التي تقام لأجلها الخطب من حين لآخر .

ه- المحاور أو المقامات التي وردت فيها الخطب :

لاحظ عبد الجليل العشراوي أن محاور الخطابة التي أوردها الجاحظ في كتابه – السابق الذكر– لا تخرج عن ثلاثة محاور رئيسية : " محور ديني نجد فيه خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخطب الصحابة ، ومحور سياسي نجد فيه خطب الحجاج

1 المصدر السابق ، ص 35 .
2 المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 425 .
3 سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الإسلامي و الأموي ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمان ، 1433هـ - 2012 م ، ص 313 .

و زياد و أنصارهما و خصومهما ، ومحور ثالث جدلي مذهبي كان نتيجة للصراع الفكري الذي عرفه المسلمون مند نهاية العصر الراشدي. "[1]

وقد أورد الجاحظ عدة نماذج من هذه الخطب في كتابه "البيان و التبيين" .

و- طرائق الإشارة و لغاتها :

من المعروف أن الخطيب يلجأ إلى استعمال الألفاظ و العبارات في خطبه لكن هذا لا يعني أن اللفظ أو الكلام هو الطريقة الوحيدة للتعبير فقد يصاحب هذا الفظ إشارات ببعض أجزاء الجسم كالإشارة باليد أو بالرأس أو بالعين أو بالحاجب ... و غير ذلك. وفي هذا يقول الجاحظ :" قد قلنا في الدلالة باللفظ ، فأما الإشارة فباليد وبالرأس و بالعين والحاجب و المنكب إذا تباعد الشخصان ، و بالثواب وبالسيف ... و الإشارة و اللفظ شريكان ، و نعم العون هي له و نعم الترجمان هي عنه و ما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط ! ...و لو لا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص و لجهلوا هذا الباب البته ."[2]

فطرائق الإشارة تختلف هنا حسب المواضع و الظروف و الإشارة شريك مهم للفظ فهي تزيد من قوته ووضوحه و تأثيره وهي وسيلة هامة للتواصل بين الناس و للإقناع .

وقد تناول الشعراء دلالات الإشارة في الكلام فقال شاعر في الإشارة بالعين :

" أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم .

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا و أهلا و سهلا بالحبيب المتيم "[3]

وقال أخر في الإشارة بالعين أيضا :

" العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا

و العين تنطق و الأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا "[4]

1 عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، ص 49 .
2 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص ص 57 ، 58 .
3 المصدر نفسه ، ص 58 .
4 المصدر نفسه ، ص ن .

ويقول الجاحظ عن الإشارة باليد و الرأس : " و حسن الإشارة باليد و الرأس من تمام حسن البيان بالبيان مع الذي يكون مع الإشارة من الذال و الشكل و التفتل و التثني واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الأمور ."[1]

فالجاحظ يؤكد على أن الإشارة باليد والرأس هي من تمام حسن الكلام البين البليغ فهي تقع معه في نفس الدرجة و خصوصا إذا رافقتها علامات أخرى للجسم فمن شأن كل ذلك أن يحدث الإقناع و يوصل المراد بشكل أوضح .

بالإضافة إلى استعمال الإشارات أثناء الخطابة أو الكلام أو القول هناك عادات أخرى كان العرب يلتزمون بها أثناء إلقاء الخطب وقد ظلت ملازمة لهم في الجاهلية و بعدها ؛ حيث ذكر الجاحظ أهمها في كتابه " البيان والتبيين" و التي من أبرزها اتخاذ العصا وطي العمائم على الرؤوس و القيام على ظهر رواحلهم و الاشتمال بالرداء و غير ذالك .

يقول الجاحظ في باب ما قيل في المخاصر و العصي و غيرها : " كانت العرب تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الأرض في بالقسي ، وتشير بالعصي و القنا ، نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ."[2]

فالمخاصر و العصي و القنا كانت من أبرز أدوات الخطابة المساعدة على إيصال الكلام و التأثير في المخاطب فهي تمثل المكانة و الهيبة و الدليل على ذلك عدم مفارقتها لأيدي الملوك .

– وفي ذلك يقول الشاعر :

" في كفه خيزران ريحها عبق بكف أروع في عرنينه شمم .

يغضي حياء و يغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم . "[3]

كما قال الأنصاري في المجامع :

" يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بأرض الشام فوق المنابر

1 المصدر السابق ، ص ص 58 ، 59.
2 المصدر نفسه ، ص 215 .
3 المصدر نفسه ، ص ن.

يصيبون فصل القول في كل خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر"[1]

وقال الحطيئة في المخاصر و العصي وفي خد وجه الأرض بأطراف القسي :

" أم من لخصم مضجعين قسيهم صعر خذوذهم عظام المفخر ."[2]

وفي عصر الإسلام نجد الشاعر كثير يقول في استعمال المخاصر في الخطابة :

" إذا قرعوا المنابر ثم خطوا بأطراف المخاصر كالغضاب"[3]

فهذه الأبيات كلها تدل على مكانة العصا و كثرة استعمالها من طرف الخطباء .

كان البعيث أخطب شعراء بني تميم يستعمل العصا أثناء خطابته والدليل على ذلك :

" وقال أبو اليقظان : كانوا يقولون: " أخطب بني تميم البعيث إذا أخد القناة فهزها ثم أعتمد بها على الأرض ثم رفعها ." [4]

و كان الرسول صلى الله عليه و سلم أيضا يستعمل العصا حيث جاء في " حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه جاء البقيع ، ومعه مخصرة ، فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال: " ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار " وهو من حديث أبي عبد الرحمان السلمي .

ومما يدلك على استحسانهم شأن المخصرة "حديث عبد الله بن أنيس ذي المخصرة ، و هو صاحب لبلة الجهني ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعطاه مخصره فقال : " تلقاني بها في الجنة " و هو مهاجر عقبي أنصاري و هو ذو المخصرة في الجنة ."[5]

فاستعمال الرسول صلى الله عليه وسلم العصا يدل على مكانتها و شرفها و أهميتها لدى العرب فهي تكسب صاحبها هيبة ووقارا و احتراما من الآخرين .

1 المصدر السابق ، ص 216.
2 المصدر نفسه، ص ن.
3 المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 415 .
4 المصدر نفسه ، ص 416 .
5 المصدر نفسه ، ص ن .

ن- رأي الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب ورد الجاحظ على مطاعنهم :

طعنت الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب حيث قالت هي ومن يتعصب للعجمية : " القضيب للإيقاع ، والقناة للقار ، والعصا للقتال ، و القوس للرمي ، وليس بين الكلام وبين العصا سبب ، ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر و يعترضا على الدهن أشبه ، وليس في حملها ما يشحذ الدهن و لا في الإشارة بهاما يجلب اللفظ ..."[1]

وبما أن الجاحظ عربي غيور على قومه ، وعلى لغتهم و بيانهم وهويتهم ، فلم يكن ليقبل بما يزمعه هؤلاء الشعوبيون من مطاعن في هوية العرب و عاداتهم حيث " سعى الجاحظ إلى إحباط حملة الشعوبية على العرب و غضهم من بلاغتهم ، عندما شككوا في العلاقة بين حمل العصا و الحاجة إلى الخطابة ، فقد كانت حججهم تتوخي نسف مواضع فخر العرب بهويتهم و إخراجهم من دائرة البلاغة."[2]

كما أخذ على عاتقه أن يقف في وجه هذه المطاعن و هؤلاء الشعوبيون ، و يثبت للعرب كل فضيلة و أن البيان صفة خصهم الله بها ، فيبدأ بعرض حجج هؤلاء الخصوم و مطاعنهم على خطباء العرب ، تمهيدا لإبطالها والرد عليها فيقول : " ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ، ومن يتحلى باسم التسوية ، و بمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخصره عند مناقلة الكلام ، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى ، و المنثور الذي لم يقف ، و بالأرجاز عند المنع ، وعند مجاثاة الخصم ، وساعة المشاولة ، وفي نفس المجادلة و المحاولة ... و لا اختلاف تأليف ، ولا التماس قافية ، ولا تكلف لوزن ، مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي ، و الاتكاء على أطراف القسي ، وخد الأرض بها ، واعتمادها عليها إذا استحفزت في كلامها ، و أفتنت يوم الحفل في مذاهبها . ولزومهم العمائم في أيام الجوع ، وأخذ المخاصر في كل حال ، وجلوسها في خطب النكاح ،

1 المصدر السابق ، ص ص 416 ، 417 .
2 محمد مشبال ، (التصوير و الحجاج : نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ) ، عالم الفكر ، العدد 2، المجلد 40 ، أكتوبر – ديسمبر 2011 ، ص 163.

و قيامها في خطب الصلح ، ... و خطبهم على رواحلهم في مواسم العظام ، والمجامع الكبار ."[1]

بعد إيراد مطاعن الشعوبية في عادات و تقاليد العرب التي كانوا يلتزمون و يفتخرون بها هاهو الجاحظ يقرر تكذيب هذه المطاعن و الرد عليها و دفعها بالحجج القوية فيقول :

"أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب و الفرس. و أما الهند فإنما لهم معان مدونة و كتب مجلدة لاتضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف . و إنما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ، و لليونانيين فلسفة و صناعة منطق . وكان صاحب المنطق نفسه بكئ اللسان غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله و معانيه و بخصائصه . وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة و لا بهذا الجنس من البلاغة . وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس و كل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد و خلوة ، و عن مشاورة و معاونة ، وعن طول التفكرودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم ."[2]

ويستمر الجاحظ في حكمه على العرب فيقرر أن " كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، و كأنه إلهام ... فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، و التحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ولا حفظ ولا طلب ."[3]

فهنا يؤكد الجاحظ عروبته و اعتزازه بهوية العرب و عاداتهم والفارق الجوهري بينهم و بين الأمم الأخرى فهم أمة الفصاحة و البيان و البلاغة . " فالعرب مطبوعون ، لا يتكلفون بيانهم ، وليس هناك معاندة أو مكابدة ، فقلوبهم متصلة بعقولهم من غير تكلف و لا قصد ، وبيانهم ليس وليد دراسة . "[4]

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص ص 413 ، 414.
2 المصدر نفسه ، ص 425 .
3 المصدر نفسه ، ص ص 425 ، 426.
4 فوزي سيد عبد ربه ، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، ص 139.

قدم لنا الجاحظ في كتابه أذلة أخرى على استخدام العصا عند العرب في المحافل وأن هذه العادة هي عادة سامية و قديمة عندهم ومما يدل على ذلك اتخاذ سليمان بن داوود صلوات الله عليه العصا في خطابته و كذلك استعمال موسى عليه السلام للعصا لرد كيد فرعون و السحرة ، فيقول: " و الدليل على أن أخد العصا مأخوذ من أصل كريم ، ومن معدن شريف ، ومن مواضع التي لا يعيبها إلا جاهل ، ولا يعترض عليها إلا معاند ، اتخاذ سليمان بن داوود صلوات الله تعالى و سلامه على نبينا وعليه العصا لخطبته وموعظته ، و لمقاماته و طول صلاته ، و لطول التلاوة و الانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة ".[1]

فالجاحظ هنا يثبت أن اتخاذ العصا له أصل كريم ومعدن شريف و ليس مجرد عادة عابرة التزم بها العرب في خطبهم .

يقول الله عز وجل و قوله الحق : "﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ."[2]و المنسأة هي العصا .

وقال أيضا في اتخاذ موسى عليه السلام العصا لمجابهة فرعون و السحرة ، يقول : ﴿ وَقالَ موسى يا فِرعَونُ إِنّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالَمينَ ﴿١٠٤﴾ حَقيقٌ عَلى أَن لا أَقولَ عَلَى اللَّـهِ إِلَّا الحَقَّ قَد جِئتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُم فَأَرسِل مَعِيَ بَني إِسرائيلَ ﴿١٠٥﴾ قالَ إِن كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَأتِ بِها إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ ﴿١٠٧﴾ .[3]

فهذه الآيات تدعم رأي الجاحظ في الأصل السامي لاستعمال العصا عند العرب ، وهذا لا يعني أن الاستعمال الوحيد للعصا كان مقصورا على الخطابة . وعلى مجابهة المشركين فقد تعددت منافع العصا و استخداماتها قديما من شخص لآخر و حسب

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 427.
2 سبأ ، 14.
3 الأعراف ، 104 - 107 .

الظروف المهيمنة في ذلك الوقت ، يقول الجاحظ : " فإذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار و المرافق الأوساط والصغار ما لا يحصيه أحد .

و إذا فرقت ففيها مثل الذي ذكرنا و أكثر ، فأي شيء يبلغ في المرفق و الرد مبلغ العصا. "[1] . و يقول عز وجل على لسان نبيه موسى : " **وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى ﴿١٨﴾**"[2]

فاستخدامات العصا تعددت من حين لآخر و من بين تلك الاستخدامات اتخاذها في الخطابة كما ذكرنا آنفا بالإضافة إلى استعمالها في القتال ، ومما يدل على شدة قتالهم بالعصا قول بشامة بن حزن النهشلي :

" فدى لرعاء بالبحيرة دببوا بأعصيهم و الماء برد المشارب .

تألى نعيم لا تجوز بحوضه فقلت تحلل يا نعيم بن قارب .

فإن زيادا لم يكن ليردها وسبره عن ماء النضيح المقارب ."[3]

كما كان العرب يتخذون العصا للاتكاء عليها وخاصة لدى كبار السن : "و يتوكأ عليها الكبير الدانف و السقيم المدنف و الأقطع الرجل والأعرج فإنها تقوم مقام رجل أخرى ."[4] . فهنا يتضح أن هناك أكثر من استعمال للعصا أو أكثر من منفعة فهي تعين المسن و المريض والأقطع الرجل و الأعرج و الخطيب للتوكؤ عليها فقد كان" يلتجئ الى العصا لتعينه على الوقوف . "[5] عندما يطيل في خطبته .

و يكفي شرفا للعصا أن الرسول عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخطب بالقضيب ، وكذلك كبراء العرب من الخطباء . ففي حملها " دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب و الإطالة ، و ذلك شيء خاص في خطباء العرب و مقصور عليهم ومنسوب إليهم ، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم و المخاصر في أيديهم إبقاء و توق لبعض ما يوجب حملها و الإشارة بها . "[6]

1 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 436 .
2 طه ، 18.
3 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 438 .
4 المصدر نفسه ، ص 446.
5 عبد الجليل العشراوي ، الحجاج في الخطابة النبوية ، ص 116.
6 أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 473 .

ذكرنا عادة من عادات العرب في الخطابة و هي استعمال العصا و هي ليست العادة الوحيدة لديهم فبالإضافة إلى اتخاذ العصا كان العرب يلوون العمائم على رؤوسهم ، " فعند العرب العمة و أخد المخصرة من السيماء ، و قد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة و لا القميص لا الرداء ، والذي لابد منه العمة و المخصرة ، وربما قام فيهم و عليه إيزاره قد خالف بين طرفيه ، وربما قام فيهم وعليهم عمامته و في يده مخصرته ، وربما كان قضيبا ربما كانت العصا و ربما كانت قناة ."[1]

فوضع العمائم على الرؤوس من بين العادات الشائعة عند العرب و هي تدل على المكانة والهيبة و تكسب صاحبها و قارا و احتراما و هذا ما يساعده على إقناع الآخرين و التأثير فيهم .

ومن بين الذين كانوا يعتمون كثيرا أبو أحيحة : " و كان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا اعتم لم يعتم معه أحد ، هكذا في الشعر، و لعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس ، وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غير مهتضم ذميم

إذا شد العصابة ذات يوم وقام إلى المجالس و الخصوم ."[2]

و قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – "العمائم تيجان العرب"[3]

كما كانت العرب تتخذ رواحلها لتخطب عليها " كانت العرب تخطب على رواحلها ، وكذلك روى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قس بن ساعدة . قال : أخبرني عبد الرحمان بن مهدي عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة ، والقيام على الأقدام رخصة . وجاء في الأثر ، لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس ".[4]

1 المصدر السابق ، ص 460.
2 المصدر نفسه ، ص 463 .
3 المصدر نفسه ، ص 464 .
4 المصدر نفسه ج 2 ، ص ص 361، 362 .

فالوقوف على ظهر الدواب كان من أجل أن يرى الخطيب من طرف الطويل و القصير القامة من الناس .

كانت هذه أهم عادات العرب أثناء الخطابة و التي ميزتهم عن غيرهم و أثبتت هويتهم و ثقافاتهم المتأصلة فيهم.

وخلاصة القول أن الخطابة فن شهد رواجا و ازدهارا كبيرين عند العرب مند القديم و ذلك راجع لأهميتها و قوة تأثيرها في الجماهير ، كما أن سننها تعددت من خطبة لأخرى و من قبيلة لأخرى و أشتهر في هذا الفن كثير من الخطباء و تفوق بعضهم على الآخر و لاسيما خطباء العرب نظرا لبيانهم و فصاحتهم و ارتجالهم ، كما أن مقامات الخطابة تنوعت حسب المواطن و الظروف و المواضيع و صاحبتها إشارات وعادات كان العرب يلتزمون بها أثناء إلقاء خطبهم حتى أن الشعوبيين طعنوا في هذه العادات لكن مع هذا فقد ظلت الخطابة تحتل موقعا متقدما بين فنون القول النثرية عبر مختلف العصور.

خاتمة :

من خلال بحثنا هذا ، والذي حاولنا فيه الاطلاع على أهم آراء الجاحظ النقدية في الخطابة في كتابه "البيان والتبيين" خلصنا إلى أن الجاحظ كان من بين أبرز العلماء الذين أخرجتهم الحياة العلمية التي كانت سائدة في العصر العباسي إلى الوجود . وذلك لما اتصف به من رغبة شديدة إلى اكتساب المعرفة من شتى ينابيعها ، وقد مكنته هذه الرغبة الشديدة إلى اكتساب المعرفة من تحصيل كم هائل من المؤلفات من أشهرها "البيان والتبيين" .

هذا الكتاب الموسوعي الذي تنوعت وتشعبت مواضيعه ، لكننا وقفنا على موضوع واحد فيه هو فن الخطابة وعرضنا لأهم آراء الجاحظ النقدية في طرفي هذا الفن المخاطب والمخاطب لنتوصل إلى أن الباحثين والبلاغيين القدماء لم يولوا عناية واسعة بالمخاطب وركزوا جل اهتمامهم على المخاطب باعتباره منشئ الخطاب .

كما شهدنا أن فن الخطابة قد شهد رواجا وازدهارا كبيرين عند العرب مند القديم وذلك راجع لأهميتها وقوة تأثيرها في الجماهير ، حيث ساعدت عدة عوامل على ازدهارها منها : فصاحة العرب وقوة بيانهم وارتجالهم بالإضافة إلى الإشارات والعادات المصاحبة للخطاب والتي كان العرب يلتزمون بها إذ أنها تدل على الوقار والهيبة وتساعد على التأثير والإقناع .

وبهذا ظلت الخطابة تحتل موقعا متقدما بين فنون القول النثرية عند العرب عامة والجاحظ خاصة .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- **المصادر :**

1-الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق : درويش جويدي . د ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1423 هـ - 2003 م ، ج 1 ، ج 2 ، ج 3.

2- : الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون. ط 2 ، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1384 هـ - 1965 م .

3- : القول في البغال ، تحقيق : شارل بيلا . ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1416 هـ - 1995 م .

4-الجاحظ : البخلاء (آثار أدبية) ، إشراف محمد بلقايد ، د ط ، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2001 م .

5-إبن منظور : لسان العرب ، ضبط نصه وعلق على حواشيه خالد رشيد القاضي . ط1 ، دار إديسوفت ، بيروت ، لبنان ، 1427 هـ - 2006 م ، ج4 .

- **المراجع :**

6-جميل جبر : الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، د ط ، دار صادر ، بيروت ، دت .

7-حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، د ط ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1426 هـ - 2005م .

8-سامي يوسف أبو زيد : الأدب العباسي النثر ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، 1432 هـ - 2011 م .

9- : الادب الأندلسي ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، 1433 هـ- 2012 م .

10- : الأدب الاسلامي والأموي ، ط 1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، 1433 هـ - 2012 م .

11- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ، ط 6 ، دار المعارف ، مصر ، د ت .

12- : تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) ، ط 2 ، دار المعارف ، مصر ، 2001 م .

13- صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، ط 1 ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سورية ، 2008 م .

14- الطاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الأدب ، ط 8 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1419 هـ - 1999 م .

15- عبد الحكيم راضي : الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ ، ط 3 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2006 م .

16- عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د ت .

17- عبد الجليل العشراوي : الحجاج في الخطابة النبوية ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2012 م .

18- عزت السيد أحمد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، د ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 م .

19- عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ط 1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، 1424 هـ - 2003 م .

20- فوزي السيد عبد ربه : المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، د ط ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 2005 م .

21- كامل سلمان الجبوري : معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 ، ط 1 ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ - 2002 م ، ج 4 .

22- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار . ط 3 ، دار المعارف ، بمصر ، د ت ، ج 3 .

23- كريس ستيوارد و مايك و لكنسون : المرشد إلى الخطابة ، ترجمة جورج خوري. ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1990 م .

24- محمود رزق حامد : الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، ط 1 ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2010 م .

25- : النقد الأدبي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، ط 1 ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2010 م .

26- محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، د ط ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 م .

27- مصطفى البشير قط : مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ، د ط ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2009 م .

28- محمد عبد الجليل : تصور المقام في البلاغة العربية ، ط 1 ، دار المعرفة ، مصر، 2005 م .

29- هيثم سرحان : الحجاج السردي عند الجاحظ ، بحث في المرجعيات والنصيات والآليات ، د ط ، د ن ، د ت .

30- وليد إبراهيم القصاب : أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي "في البلاغة العربية" ، ندوة الدراسات البلاغية ، الواقع والمأمول ، 1432 هـ .

- **الرسائل :**

31- عزوز سطوف : بلاغة مقام القص القرآني ، سورة يوسف أنموذجا ، رسالة ماجيستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، إشراف عمار ويس ، 2010 م .

- **المجلات :**

32- محمد مشبال : "التصوير والحجاج نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ" ، عالم الفكر ، العدد 2 ، المجلد 40 ، أكتوبر – ديسمبر ، 2011 م .

الفهرس :

مقدمة

الفصل الأول : العناصر البيوغرافية

المبحث الأول : الجاحظ في حياته ص5

1-اسمه ونسبه ص5

2-مولده ونشأته ص5

3-شخصيته ص8

4-تحصيله الثقافي ص9

5-عصر الجاحظ ص10

6-طريقة الجاحظ في الكتابة وخصائص أسلوبه ص11

7-آثاره ص12

المبحث الثاني : الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الجاحظ ص13

1- الحياة السياسية ص14

1- أ- العصر العباسي الأول ص14

1-ب- العصر العباسي الثاني ص15

❖ مرحلة نفوذ الأتراك على الخلافة العباسية ص15

❖ مرحلة النفوذ البويهي الفارسي ص16

❖ مرحلة نفوذ الأتراك السلاجقة ص16

2- الحياة الاجتماعية ص16

3-الحياة الثقافية (الفكرية) ص18

الفصل الثاني : آراء الجاحظ النقدية في طرفي الخطابة (الخطاب) .

آراء الجاحظ النقدية في المخاطب والمخاطب ص22

المبحث الأول : المخاطب ص22

1-عيوب المخاطب ص22

2-محاسن المخاطب ص28

3-أهم صفات الخطيب. ص30

4-أهم من اشتهر بالخطابة من الشعراء ص32

المبحث الثاني : المخاطب ص34

1-مراعاة حال المخاطب ص35

2-ما يجب على المخاطب ص35

الفصل الثالث : آراء الجاحظ النقدية في الخطابة (الخطاب)

1-مفهوم الخطابة ص38

أ- لغة ص38

ب-اصطلاحا : ص38

2-آراء الجاحظ النقدية في الخطابة ص39

أ- مفهوم البيان عند الجاحظ ص39

ب- سنن الخطابة ص43

ت- أهم القبائل التي اشتهرت بالخطابة وأهم خطبائها ص45

ث- أسباب تفوق العرب على غيرهم في الخطابة ص46

ج- المحاور أو (المقامات) التي وردت فيها الخطب ص46

ح- طرائق الإشارة ولغاتها ص47

خ- رأي الشعوبية بأدوات الخطابة عند العرب ورد الجاحظ على مطاعنهم...ص50
خاتمة : ص56
قائمة المصادر والمراجع ص57
الفهرس ص60
ملخص باللغة العربية .
ملخص باللغة الإنجليزية .

الملخص باللغة العربية

حاولنا من خلال هذه الدراسة الموسومة ب "آراء الجاحظ النقدية من خلال البيان والتبيين ، الخطابة أنموذجا ، دراسة تداولية" أن نستعرض أهم المحطات التي مر بها الجاحظ في حياته ، كما حاولنا أن نعرض أهم آراء الجاحظ النقدية في الخطابة وركنيها الأساسيين : المخاطب والمخاطب كما وردت في "البيان والتبيين" .

الملخص باللغة الإنجليزية

Throuyh the following study we el'djahed tred to do the criticism Throuyh the book bayane we tabyine .

The speech style and mutual study ad show the main steges of el djahed .

In his life ad we tried to show the main views of djahed's criticism in speech ad it's esential part the cratered the cudibbe stated in the book "bayane we tabyine."